

الفصل الرابع

جزيرة العرب

ليس بين أشباه الجزر شبه جزيرة تنيف على شبه جزيرة العرب في المساحة ، فهي أكبر شبه جزيرة في العالم . ويطلق العلماء العرب عليها تجوزاً اسم (جزيرة العرب)^١ . تحيط بها المياه من أطرافها الثلاثة ، ومع ذلك لم يستطع الجو البحري أن يخفف من حدة الحرارة فيها ، ويتغلب على جفافها ، والأبخرة المتصاعدة من البحر لا تتمكن أن تصل الى أواسط بلاد العرب ، لانزال رحمتها عليها . فإنّ الرياح السهائم ، وهي ذات الحرّ الشديد النافذ في المسام ، تتلقى الرطوبة التي تنبعث من البحار بوجه كالح عبوس ، ومقاومة تسليها قوتها ، وتنتزع الرطوبة منها ، وتمنعها في الغالب من الوصول الى أواسط الجزيرة .

يُسمّى جزيرة العرب من الشرق الخليج العربي المعروف عند اليونان باسم (الخليج الفارسي) (Sinus Persicus) ، وما زال يعرف بهذه التسمية المأخوذة عن اليونانية في المؤلفات المعاصرة . أما قدماء أهل العراق ، فقد عرف عندهم بـ (البحر الجنوبي) و (البحر الأسفل) و (البحر التحتاني) (Lower Sea)^٢ ، وبـ (البحر الذي تشرق منه الشمس) و (بحر الشروق) (Sea of the Rising Sun)

١ الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٤٧ ، وسيكون رمزه : صفة ، الالوسي : بلوغ الارب (١٨٤/١ وما بعدها) ، معجم البلدان (١٠٠/٣) وسيكون رمزه بـ (البلدان) ، L.D. Stamp, Asia, an Economic and Regional Geography, P., 133.

Ancient Iraq, by Georges Roux, London, 1964, P., 29.

وبـ (البحر المر) و (البحر المالح) و (نار مرتو) (Nar Marrtu) في الآشورية^١ .
 ويحدها من الجنوب المحيط الهندي ، وقد أطلق بعض الكتبة اليونان واللاتين
 على القسم المتصل منه بسواحل جزيرة العرب الجنوبية والملاصق لسواحل إفريقية
 الشرقية المقابلة لهذه السواحل اسم (البحر الأريثري) (Mare Erythraeum) ،
 أما (بطلميوس) فقد أطلق على الماء المحصور بين عُمان وحضرموت اسم
 (خليج سخاليتيه) (Sinus Sachalites) ، وأطلق على القسم الغربي الباقي
 اسم (بحر ربرم) (Mare Rubrum)^٢ (Rubri Maris) ، أي البحر الأحمر .
 وقد قصد الاغريق واللاتين بـ (Mare Rubrum) في الغالب البحر الأحمر الحالي
 والبحر العربي والخليج العربي ، بل حتى المحيط الهندي، فهم يتوسعون في هذا
 الاطلاق كثيراً^٣ .

أما حدّها الغربي ، فهو البحر الأحمر كما يسمى في الخارطات الحديثة
 المعروف باسم (الخليج العربي) (Sinus Arabicus) في الخارطات اليونانية
 واللاتينية ، وبـ (بحر القلزم) في الكتب العربية^٤ . أما العبرانيون، فقد أطلقوا
 عليه (هـ - يم) (هايم) (اليم) ، ومعناه اللغوي : (البحر) من (يم)
 (يام) بمعنى (بحر) و (ها) أداة التعريف التي هي في مقام (ال) في
 العبرانية، وذلك بصورة عامة ، و (يام سوف) (Yam Suph) بصورة خاصة ،
 وبـ (سوف) و (سوقة) أحياناً^٥ . وقد فسّر (البيضاوي) لفظة (اليم) ،
 الواردة في القرآن الكريم بهذا البحر ، أي البحر الأحمر^٦ . وقد أريد
 بـ (Mare Erythraeum) وبـ (Mare Rubrum) البحر الأحمر أيضاً^٧ .

وشكل البحر الأحمر ، شكل يلفت النظر ، يظهر وكأنه خسط منظم ممتد من
 الشمال نحو الجنوب على هيئة ثعبان منتصب ذي قرنين . أما باقي جسمه ، فإنه

١ Ancient Iraq, P., 247.

٢ راجع الخارطات اليونانية واللاتينية الموضوعة في هذا الباب .

٣ Quintus Curtius, I, P., 75.

٤ راجع الخارطات اليونانية واللاتينية ، بلوغ الارب (١٨٤/١) فما بعدها) .

٥ (سوف) في اللغة العبرانية ، بمعنى اعشاب ضارة ، حشائش ودغل .

٦ Smith, A Dictionary of the Bible Comprising its Antiquities, Biography, Geography, and Natural History, Vol., 1, 1009, Hastings, P., 833, 987.

٧ تفسير البيضاوي (١٣٢/٧ ، ٣٤١) .

٨ Smith, Vol., 1, P., 1009.

البحر العربي . أما هذا الثعبان ، فقد كان أرضاً في الأصل ، خسفت على هذه الصورة في الزمن الثالث من الأزمنة الجيولوجية^١ ، فابتعدت بذلك بلاد العرب عن إفريقية ، الا من ناحية الشمال ، حتى لا تكون هناك قطعة تامة ، وارتفعت بذلك السواحل الغربية ، نتيجة انخساف الأرض ، فسالت الى الأرض المنخفضة مياه البحر العربي ، ولو تم الخسف ، وامتد الى (طور سيناء) فشطرها ، لما كانت هناك حاجة الى قيام الانسان فيما بعد باتمام العمل الذي لم تكمله الطبيعة ، وهو ايصال البحر الأحمر الى البحر الأبيض بقناة السويس .

وهناك من يرى أن البحر الأحمر كان بحيرة في الأصل ، وكانت إفريقية والعربية الجنوبية قطعة واحدة عند جنوب هذه البحيرة ، أي عند ما يسمى بـ (مضيق باب المندب) في الزمن الحاضر ، ولكن خسفاً وقع ، أدى الى انفصال إفريقية عن العربية الجنوبية الغربية ، فاتصل المحيط الهندي بالبحيرة ، وتكون البحر الأحمر . وقد كان الناس قبل وقوع هذا الانفصال يتنقلون براً وكان إفريقية وجزيرة العرب قطعة أرض واحدة ، ومن هنا كانت الهجرات . أما خليج العقبة ، فقد عرف بـ (خليج أيلة) وبـ (خليج الأيلانيين) ، (Sinus Aelanites) (Sinus Aelaniticus) في الكتب الكلاسيكية ، نسبة الى مدينة (أيلة) المسماة (ايلات) (Elath) و (ايلوت) (Eloth) عند العبرانيين . وهي مدينة مهمة من مدن (أدوم) (الأدميين)^١ . وأما خليج السويس (فقد عرف بـ (Sinus Heroopolites) (Sinus Heroopoliticus) عند اليونان واللاتين^٣ .

ويحصن مناطق واسعة من ساحل جزيرة العرب على البحر الأحمر صخور مرجانية تفتك بالسفن التي تتجاسر فتقرب منها ، نبتت في تلك المواضع لتحمي الساحل من وصول الأجانب اليه . ولكنها أضرت سكانه من ناحية أخرى ، اذ جعلت الملاحة صعبة في هذه الأماكن ، فقللت بذلك الاستفادة من الاتجار بالبحر ، وقللت أيضاً من عدد الموانئ الصالحة لرسو السفن على هذا الساحل . وهناك جزر متفرقة تقابل الساحل ، أكثرها مهجور ، وبعضها قليل السكان ، ومعظمهم خليط

١ بروكلمن : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة الدكتور نبيه أمين فارس وميسر البعلبكي (طبعة دار العلم للملايين) ، الجزء الاول (ص ١٠) .

٢ Hastings, P., 211, Smith, Vol., 1, 1009.

٣ Smith, Vol., 1, P., 1009

من دم إفريقي أسود ومن عرب ، عاشوا في الجاهلية وفي الإسلام على التعرض للسفن بالغزو وعلى الصيد .

ويرى بعض الباحثين أن البحر الأحمر لم يكن وحده نتيجة خسف أصاب بلاد العرب ، ففصلها عن إفريقية إلا من جهة (طور سيناء) ، بل ان سواحل بلاد العرب الأخرى ، أي السواحل الجنوبية والسواحل الشرقية ، تعرضت هي أيضاً لهزات عديدة، فحسفت في مواضع عديدة مثل (عدن)، حيث تكون خليج عدن ، ومثل الخليج العربي ، وكانت هذه الهزات والتصدعات استجابة لتصدع واهتزازات حدثت في الشمال على مقربة من حدود بلاد الشام ، فامتدت الى وادي الأردن والبحر الميت فوادي عربة الى خليج العقبة . وهكذا تعرضت جزيرة العرب في عصور سحيقة في القدم قبل الميلاد لهزات وتحركات أرضية ، حتى جعلتها على الشكل الذي نراه عليه الآن^١ .

وحدّها الشمالي خط وهمي يمتد في اصطلاح العلماء العرب من خليج العقبة حتى مصب شط العرب في الخليج العربي ، فيكون النفوذ الشمالي من الحدود التي تفصل الهلال الخصيب عن جزيرة العرب . أما من الناحية « الجيولوجية » ، فإن باطن الهلال وحدة لا يستطاع فصلها عن تربة الجزيرة ، وجزء لا يختلف من حيث طبيعته الصحراوية وخواصه عن سائر أنحاء بلاد العرب . وأما من الناحية التاريخية ، فإن هذا الخط الوهمي المتصور ، هو وهم وخطأ ، فقد سكن العرب في شمال هذا الخط قبل الميلاد بمئات السنين . سكنوا في العراق من ضفة نهر الفرات الغربية ، وامتدوا في البادية حتى بلغوا أطراف الشام . وسكنوا في فلسطين وطور سيناء ، حتى بلغوا ضفاف النيل الشرقية . وهي أرضون أدخلها الكتبة القدامى من يونان ولاتين وعبرانيين وسريان في جملة مساكن العرب ودعواها بـ (العربية) وبـ (بلاد العرب) ، لأن أغلب سكانها كانوا من العرب^٢ ، حتى ذهب بعض علماء (التوراة) ، الى أن (بلاد العرب) في التوراة، هي مواطن (الإسماعيليين Ishmaelite) و (القطوريين Keturaean) ، أي البوادي التي نزلت بها القبائل المنتسبة الى (اسماعيل) و (قطورة) . وهي

B.R. 527 (Restricted), Geographical Handbook, Series for Official use only, ١
Western Arabia and the Red Sea, June 1946, Naval Intelligence Division, PP., 11

O'Leary, Arabia before Muhammad, P., 5. ٢

قبائل بدوية ، كانت على اتصال بالعبرانيين . وهي بوادي تقع شمال جزيرة العرب وفي الأقسام الشمالية منها^١ .

أما (أربي) ، أي (العربية) في النصوص الآشورية ، و (ماتو أربي) (Matu A-ra-bi) ، أي (أرض العرب) و (بلاد العرب) في النصوص البابلية ، و (اربايا) (Arabaya) (Arpaya) في النصوص الفارسية ، و (بيت عربية) (Beth 'Arabaya) في الإرمية ، فإنها كلها تعني البادية الواسعة التي تفصل العراق عن بلاد الشام . أما حدودها الجنوبية ، فلم تحدها النصوص المذكورة^٢ . ولكننا نستطيع أن نقول ان امتدادها كان يتوقف على مبلغ علم تلك الشعوب بالعرب ، وعلى المدى الذي وصل اليه تعاملهم في بلاد العرب .

فبلاد العرب أو (أرض العرب) (مت أربي) (Mat Arabi) (Mat Aribi) ، هي بادية الشام أيضاً ، وهي كل الأرضين التي تحدها جبال (الأمانوس) (Amanus) في الشمال ، أي الأرضين التي تقع في جنوبها وكل شبه جزيرة سيناء عند (بلينيوس) (Plinius)^٣ . فهن اذن أوسع جداً مما تصوره علماء الجغرافيا المسلمون لجزيرة العرب .

وإذا نظرنا نظرة عامة الى خارطة جزيرة العرب ، نرى أنها أرضون مرتفعة في الغرب ، تسيطر على السواحل الضيقة ، وتكوّن سلاسل من المرتفعات متصلاً بعضها ببعض ، تمتد من بلاد الشام الى اليمن ، ويقال لهذه المرتفعات جبال (السراة)^٤ . وهي توازي ساحل البحر الأحمر ، وتقرّب منه في مواضع عديدة . ويبلغ متوسط ارتفاعها زهاء خمسة آلاف قدم . أما أقصى ارتفاع لها ، فيبلغ زهاء ١٢,٣٢٦ قدماً ، وهو في اليمن^٥ .

وأما الأرضون المحصورة بين هذه السلسلة وساحل البحر ، فإنها ضيقة ، تسيطر عليها هذه المرتفعات ، وتنحدر اليها انحداراً شديداً قصيراً . وسواحلها

Hastings, A Dictionary of the Bible, Vol., 1, P., 585. ١

Encyclopaedia Biblica, Vol., I, Col., 273. ٢

Pliny, Nat. Hist., VI, 142. f., A. Grohmann, Arabien, S., 3. ٣

السراة : أعلى كل شيء ، وهناك مواضع عديدة يقال لها سراة مضافة الى القبائل ، تاج العروس (١٧٤/١٠) ، البلدان (٥٩/٥) . ٤

C. Rathjens und H. von Wisman: Suedarabische Reise, Hamburg, 1934, Bd., 111, S., 2, Ency. Brit., Vol., 2, P., 169. ٥

المهيمنة على البحر ، صخرية في أغلب الأحيان ، يصعب رسو السفن فيها^١ .
وظالما تحطمت عليها السفن المنكوبة ، فنكون طعماً للبحر، وللأعراب الساكنين
على السواحل ، فيكون من ينجو بنفسه من أصحاب تلك السفن وما يتبقى من
حطامها ملكاً لأولئك الساكنين بحسب عرف أهل ذلك الزمان وعاداتهم .

أما الانحدار الى البحر العربي والخليج العربي ، فانه يكون تدريجياً وطويلاً
ولذلك تكون الأقسام الغربية من جزيرة العرب أعلى من الأقسام الشرقية. وتتألف
الأرضون الوسطى من هضبة تدعى (نجداً) ، يبلغ متوسط ارتفاعها زهاء ٢٥٠٠
قدم . وتمتد في الأقسام الجنوبية من الجزيرة سلاسل من الجبال، يتفاوت ارتفاعها،
تسيطر على المنخفضات الساحلية ، وعلى ما يليها من أرضين من جهة البر ،
وتتصل هذه بسلسلة جبال اليمن ، وتكثر فيها الأودية التي تفصل بين السلاسل،
وتأخذ مختلف الاتجاهات من الشمال الشرقي أو من الشمال الغربي الى سواحل
البحر ، حيث تمثل اتجاهات المياه والسيول^٢ . ويكون أعلى ارتفاع لسلسلة الجبال
الجنوبية في أقصى الجنوب الشرقي من الجزيرة ، أي في عمان ، حيث يبلغ ارتفاع
الجبل الأخضر زهاء عشرة آلاف قدم^٣ .

وتتكون أغلب الأرضين في جزيرة العرب من بواد وسهول ، تغلبت عليها
الطبيعة الصحراوية ، لكن قسماً كبيراً منها يمكن اصلاحه إذا ما تعهدته يد
الإنسان ، واستخدمت في اصلاحه الوسائل العلمية الحديثة . وأما الأرضون الصالحة
للزراعة ، فإنها تزرع فعلاً لوجود المياه فيها . أما الأرضون التي تعدت اليوم
من المجموعة الصحراوية ، فهي :

١ - الحِيار ، أو الأرضون البركانية : وقد تكونت بفعل البراكين، ويشاهد
منها نوعان: نوع يتألف من فجوات البراكين نفسها، ونوع تكون من حممها (اللابة)
Lava التي كانت تقذفها ، فتسيل الى الأطراف ثم تبرد وتتفتت بفعل التقلبات
الجوية ، فتكون ركاماً من الحجارة البركانية يغطي الأرض بطبقات ، قد تكون
سميكة ، وقد تكون رقيقة ، تتبعثر فيظهر من خلال فجواتها وجه الأرض
الأصلية .

Hitti, P., 14. ١

Ency. Brit., Vol., 2, P., 169. ٢

Ency. Brit., Vol., 2, P., 169, Hitti, P., 14. ٣

وفي مثل هذه الأرضين يصعب السير ، لانتشار الحجارة ذات الرؤوس الحادة فيها ، وتقل الاستفادة منها ، فتنحول شيئاً فشيئاً الى مناطق صحراوية ، والسائر اليوم في منطقة (اللجاة) في جنوب شرقي دمشق ، يلاحظ الطريق الذي سلكته الحمم المقلوفة^١ .

وقد وصف العلماء العرب الحِرار ، فقالوا^٢ : الحرّة أرض ذات حجارة سود نخرة ، كأنها أحرقت بالنار ، ويكون ما تحتها أرضاً غليظة ، من قاع ليس بأسود ، وإنما سودها كثرة حجارتها ، وتدانيتها . وتكون الحرة مستديرة ، فإذا فيها شيء مستطيل ليس بواسع ، فذلك الكراع ، واللابّة واللوبة ما اشدت سواده وغلظ وانقاد على وجه الأرض^٣ . فيظهر من هذا ان (الحرار) هي أفواه البراكين ، ولذلك تكون مستديرة . وأما اللابّة أو اللوبة ، فإنها المناطق التي غطتها حمم البراكين ، وسالت فوقها ، ثم جفت . وأما الكراع ، فإنها أعناق الحرار^٤ .

Moritz, Arabien, Studien zur Physikalischen und Historischen Geographie des Landes, Hannover, 1923, S., 12.

وسيكون رمزه : Moritz

(اللجاة اسم للحرة السوداء التي بأرض صلخد من نواحي الشام ، فيها قرى ومزارع وعمارة واسعة) ، البلدان (٣٢٣/٧) .

٢ البلدان (٢٥٦/٣) ، تاج العروس (١٣٥/٣) ، ويقال للحرة المنعزلة في الرمال (بسقة) ، الطبرى (٢٢١/٣) ، والنهير الذي يسيل من الحرار (شرح) و (شراج) ، وأحياناً (سواقى) ، البلاذري : الفتوح (١٢) ، المراصد (١٧٥/٢) ، المفضليات (ص ٢٤٥ ، ٤١٥) .

٣ لسان العرب (٢٤٢/٢) ، (لوآبة) (لابة ولوبة) ، المفضليات (ص ٢٤٥ ، ٤١٥) ، البلدان (٣٥٧/٣) ، ويقال (حرة سوداء) ، الطبرى (٩٥٩/٢) (طبعة أوربية) ، وجاء ايضاً (حرة رجلاء) ، صفة ص ٢٠٥ ، وقد علل الهمداني ذلك بقوله (سميت الحرة الرجلاء لانها ترجل سالكها ، ولا يقدر فيها على الركوب) ، صفة ص ٢٠٥ ، راجع كذلك معلقة الحارث ، بيت ٣٨ ، وجاء (حرة سوداء) ، Moritz, S., 11 وجاء كذلك (حامية) ، والظاهر انها من الفاظ العوام .

وقد كتب العلماء في (الحرار) ، كتباً ، مثل (كتاب الحرة) المنسوب الى ابي عبد الله محمد الغلابي ، (الفهرست ص ١٠٨) ، و (كتاب الحرات) لابى عبيدة (الفهرست ص ٥٩) ، (طبعة أوربية) (٨٠) طبعة المطبعة الرحمانية ، لسان العرب (٢٤٢/٢) ، وورد ايضاً (لابة سوداء) ، (لوآبة) و (لوبة) ، ابن سعد ، الطبقات (٢/١) (٢٥) ،

Moritz, S., 12, Anm. 1, Loth, in ZDMG., 22, 365-382.

٤ لسان العرب (٢٤٢/٢) ، (١٨٢/١٠) ، القاموس (٧٨/٣) .

وتكثر الحرار في الأقسام الغربية من جزيرة العرب، وتمتد حتى تتصل بالحرار التي في بلاد الشام ، في منقطة حوران ، ولا سيما في الصفاة^١ ، وتوجد في المناطق الوسطى ، وفي المناطق الشرقية الجنوبية من نجد حيث تتجه نحو الشرق ، وفي المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية ، حيث تلاحظ الحجارة البركانية على مقربة من باب المنذب وعند عدن^٢ . وقد ذكر علماء العرب أسماء عدد منها^٣ ، كما أضاف إليها السياح أسماء عدد آخر عثروا عليها في مناطق نائية^٤ .

وقد وردت في الشعر الجاهلي اشارات إليها . وكانت إحدى الحرار ، وهي (حرة النار) في عهد الخليفة عمر لا تزال نائرة تخرج النار منها^٥ . وقد ذكر أن سحب الدخان كانت تخرج في عهد الخليفة عثمان من بعض الجبال القريبة من المدينة^٦ . وهذا يدل على أن فعل البراكين في جزيرة العرب ، لم يكن قد انقطع انقطاعاً تاماً ، وأن باطن الأرض ، كان ما زال قلقاً ، لم يهدأ .

وكان آخر حدث بركاني في الحجاز في سنة ٦٥٤ للهجرة (١٢٥٦ م) ، إذ ثارت إحدى الحرار في شرقي المدينة ، واستمر هيجانها بضعة أسابيع ، وقد وصل ماسال من حمها الى مسافة بضعة كيلومترات فقط من المدينة التي كان نجاتها من الأعاجيب^٧ . وكان أواخر القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر الميلاديين عهد زلازل وثوران براكين في مناطق آسية الغربية^٨ . ومنذ القرن الثالث عشر الميلادي ، لم يبق أثر لفعل البراكين في مختلف أنحاء بلاد العرب^٩ .

وقد تركت الأصوات المزعجة ، و (الصيحات) المرعبة ، والنيران التي كانت ترى من مسافات بعيدة ، وسحب الدخان التي كانت ترتفع من أجواف

١ Moritz, S., 12, Chr. Philips Grant, The Syrian Desert, London, 1937, P., 122, Allos Musil, In the Arabian Desert, New York, 1930, PP., 3, 21.

٢ Ency. Brit., Vol., 2, P., 174.

٣ البلدان (٢٥٩/٢) (مطبعة السعادة ١٩٠٦) ، (حرة أشجع) الاصابة (٤٦٧/١) .

٤ Doughty, Arabia Deserta, 2, 618. f.

٥ Moritz, S., 13 ، (٢٦١/٣)

٦ الطبرى (٢٩٨/١) (الطبعة الاوربية) ،

٧ Moritz, S., 13.

٨ Moritz, S., 14.

٩ Moritz, S., 19.

الأرض ، و (البريق) الذي كان يظهر من الحرار ، مثل حررة (القوس) التي قيل انها كانت ترى كأنها حريق مشعل^١ ، و (حرة لبن) التي كان يخرج منها ما يشبه البرق ، ويسمع منها أصوات كأنها صياح^٢ ، هذه كلها تروى صوراً مرعبة في نفوس الجاهليين ، تتجلى في القصص المروية عنها ، وفي عقائدهم بتلك النيران .

ولعل قوة نيران (حرة ضروان) وشدة قذفها للحمم وارتفاع لهبها ، هي التي دفعت أهل اليمن الى التبعدها والتحاكم اليها ، فقد كانوا يذهبون اليها ليتحاكموا عندها فيما يحدث عندهم من خلاف ، والرأي عندهم ان النار تخرج فتأكل الظالم وتنصف المظلوم . وقد كانت حرة نشطة عاشت أمداً طويلاً كما يظهر من وصف (الهمداني) وغيرها لها ، وصلت حمها الى مسافات بعيدة عن الحرة^٣ .

وقد تسببت أكثر هذه الحرار في هلاك كثير ممن كان يسكن في جوارها وفي هجرة الناس من الأرضين التي ظهرت بها ، فتحولت الى مناطق خاوية خالية . وقد وجد السياح أرضين شاسعة واسعة أصيبت بالحرار ، وتأثرت بفعل (اللابة) التي سالت عليها . وللناس الحق كل الحق في ارجاع أسباب هلاك أصحابها الى العذاب الذي نزل بهم بانفجار الأرض وبخروج النيران منها فلتهم الساكنين عندها . وقد جهلوا ان هذه النيران المتقدمة الصاعدة والروائح الكريهة المنبعثة عنها ، هي من فعل العوامل الأرضية الداخلية التي تعمل سراً في بطن الأرض . وكثرة الحرار في جزيرة العرب ، وانتشارها في مواضع متعددة منها ، دليل على أن باطنها كان قد تعرض لامتحانات عسيرة قاسية، ولتقلبات كثيرة ولضغط شديد في المناطق الشمالية والغربية والجنوبية، وقد ظهر أثر ذلك الضغط في وجهها فبان اليوم وكأنه حب الجُدري^٤ ، يتحدث عن ذلك المرض القديم .

١ قال عمروة النميري :

بحرة القوس وجنبي محفل بين ذراه كالحريق المشعل

البلدان (٢٥٩/٣) .

٢ (لبن) ، بضم اللام وتسكين الباء الموحدة ، قال الشاعر :

بحرة لبن يبرق جانبها ركود ما تهد من الصياح

البلدان (٢٦٠/٣) .

٣ الأكليل (٣٣/١) .

وقد اشتهرت بعض مناطق الحِرار بالخصب والماء وبكثرة المياه فيها ، ولا سيما حِرار الحِجاز التي استغلت استغلالاً جيداً ، ومنها (خَيْبِر) ، التي ميزت على سائر القرى ، فقبل عنها لأنها (خير قرى عربية) ١ ، غير أن ظهور العيون فيها بكثرة ، جعلها موطناً من مواطن الحمى ، اشتهر أمرها في الحِجاز حتى قيل : (حمى خَيْبِر) ٢ . واستفاد الجاهليون من الحِرار باستخراج الأحجار منها ، كأحجار الرحي والمعادن ، فكانت موطناً من مواطن التعدين القديمة فيها ٣ .

ويدرس علماء طبقات الأرض بعناية بالغة توزيع الحِرار في جزيرة العرب ، وتقصي أنواع الحجارة التي يكثر وجودها مثل الحجارة الكلسية والگرانيتية والرملية وتوزعها ، والينابيع الحارة في الأحساء ، لما في هذه الدراسات من أهمية بالنسبة الى اكتشاف الموارد الطبيعية ، والثروات الكامنة في الأرض .

ويظن أن فعل البراكين كان له أثر خطير في العصور الـ «ابوسينية» (Eocene) ، إذ ثارت براكين عديدة في جزيرة العرب وفي الحبشة وفي السواحل الإفريقية المقابلة لجزيرة العرب . وقد أثرت هذه البراكين بالطبع في شكل الأرضين التي ثارت فيها وفي شكل الأرضين القريبة منها ، وقد ظهرت براكين فعالة نشيطة في العصور (البليوسينية) (Pliocene) أيضاً ، أثرت كذلك في شكل سطح الأرض ، بأن أحدثت فيها تضاريس ، لا تزال آثارها تشاهد حتى الآن .

وفي جزيرة العرب عيون وينابيع ، تخرج منها مياه حارة . ففي عسير وفي الحِجاز وفي اليمن وفي حضرموت وعمان والأحساء والمهوف وفي مواضع أخرى

١ (خير قرى عربية خَيْبِر) ، ابن سعد ، الطبقات (١/٥٠) (قسم ٢)

Zwemer, Arabia, P., 23, Moritz, S., 12.

٢ كان به - إذ جئته - خَيْبِرَة - يعود عليه وردها وملاها

قلت لحمى خَيْبِر : استعلمي هالك عيالي فاجهدي وجددي
وباكسري بصالب وورد اعوانك الله على ذا الجند
البلدان (٣/٤٩٧) ، الحماسة (طبعة فرايتاك) (ص ٦٤) ، صفة ١١٨ ، نقائض
جزير ٦٢٠ .

٣ مثل حرة سليم ، وحررة الرفاع على ساحل البحر الاحمر شمالي غربي ينبع ،
البلدان (٣/٢٥٨) ، (٨/٥٢٦) ، تاج العروس (٣/٦٣٥)

Ency. Brit., Vol., 2, P., 174.

Naval, PP., 19.

غيرها ، مواضع تخرج منها مياه حارة كبريتية في الأكثر ، يستشفى بياهاها الناس بالاستحمام . وانتشارها على هذه الصورة وبهذه الكثرة يلفت النظر ، وهي من آثار التقلبات الجوفية التي حدثت في جزيرة العرب منذ القدم .

٢ - الدهناء :

وهي مساحات من الأرضين تعلوها رمال حمر في الغالب ، تمتد من النفود في الشمال الى حضرموت ومهرة في الجنوب ، واليمن في الغرب ، وعمان في الشرق^٢ . وفيها سلاسل من التلال الرملية ذات ارتفاعات مختلفة ، تنتقل في الغالب مع الرياح ، وتغطي مساحات واسعة من الأرض^٣ . ويمكن العثور على المياه في قيعانها اذا حفرت فيها الآبار^٤ .
وقد أشير الى الدهناء في بيت شعر للأعشى هذا نصه :

يمرون بالدهناء خفافاً عياهم ويرجعن من دارين ببحر الحقائب*

وقد تصل الأمطار الموسمية الى بعض أجزاء (الدهناء) فتنبت فيها الأعشاب ، ولكن عمرها فيها قصير اذ سرعان ما تجف وتموت . وقد هجر الناس السكنى في أكثر أقسام الدهناء ، لجناف أكثر أقسام هذه المنطقة الصحراوية الواسعة ، وخلوها من الماء والمراعي ، ولكثرة هبوب العواصف الرملية فيها ، ولشدة حرارتها التي يصعب احتمالها في أثناء النهار ، وأقاموا في الأمكنة المرتفعة منها ، التي تتوافر فيها المياه ، وتتساقط عليها الأمطار ، فتنبت الأعشاب ، وينتجعها الأعراب . أما الأقسام الجنوبية من الدهناء فيسميها الجغرافيون المحدثون

Naval, P., 21. ١

(الدهناء) بفتح اوله وسكون ثانيه ونون والفاء تمد وتقتصر ، البلدان (١١٥/٤) وما بعدها . ٢

Ency., Vol., 1, P., 893, Ency. Brit., Vol., 2, P., 173 Hitti P. 15. ٣

Handbook of Arabia, vol., 1, P., 11 ٤

الالوسي ، تاريخ نجد ، تحقيق الاستاذ محمد بهجت الاثري ، المطبعة السلفية القاهرة ١٣٤٧ (ص ٣٠) . ٥

(الربع الخالي) (The Empty Quarter)^١ ، نخلوها من الناس ، وكانت تعرف به (مفازة صيهد)^٢ .

وقد تمكن السائح الانكليزي (برترام توماس Bertram Thomas) من اجتيازها في (٥٨) يوماً ، وهو عمل مجهد شاق ، فكان أول أوروبي جرؤ على اجتياز هذه الأرض^٣ .

ويطلق على القسم الغربي من الدهناء اسم (الأحقاف) وهو منطقة واسعة من الرمال بها كتابان اقترن اسمها باسم (عاد) . (واذكر أبا عاد ، إذ أنذر قومه بالأحقاف)^٤ .

وكشف (برترام توماس) في الربع الخالي بحيرة من المياه الملحة ، وبقايا حيوانات مبعثرة ، وتبين لدى العلماء أن هذه البحيرة كانت من متفرعات الخليج العربي ، وأن من المحتمل أن هذه الأرضين التي تكثرت فيها رواسب قيعان البحر ، قد كانت في عهدها من المناطق البحرية التي تغمرها مياه المحيط ، كما عثر فيه على آثار جاهلية لم يعرف من أمرها شيء حتى الآن^٥ ، يظهر أنها لأقوام كانت تستوطن هذه المناطق أيام كانت ذات مياه صالحة للإنبات والخصب . وما زالت حتى اليوم تعد أرضاً مجهولة ، وإن تحسنت معارفنا عنها كثيراً ، بفضل بعض موظفي شركات البترول والباحثين عن المعادن في مختلف أنحاء الجزيرة . وستأتي الاكتشافات الجديدة لها بمعارف قيمة عن تاريخ العرب قبل الإسلام من غير شك . وتكون (وبار) قسماً من الدهناء ، وكانت من الأرضين المشهورة بالخصب والنماء ، وهي اليوم من المناطق الصحراوية ، وبها آثار القرى القديمة التي كانت كثيرة قبل الإسلام . والظاهر أنها كانت مواطن الرباريين ، وهم الذين دعاهم

١ Terra Incognita, Hitti, P., 15, Ency., Vol., 1, P., 895, Philby, The Empty Quarter, London, 1933, Bertram Thomas, Arabia Felix, P., XXIII, 180, Philby, In the Geographical Journal, "The Empty Quarter", 81, (1933), 1-26.

٢ صفة ٢١٤ ، البلدان (١٩/٥) ، Ency., Vol., 1, P., 370, Moritz, S., 15.

٣ Ency., Vol., 1, P., 183, Handbook of Arabia, Vol., 1, P., 11 Bertram Thomas Arabia Felix, Across the Empty Quarter of Arabia, London, 1932, The Geographical Journal, Across the Empty Quarter, III, (1948), 1-21, Also "A Further Journey Across the Empty Quarter", CXIII, (1949), 12-45.

٤ سورة الاحقاف ، السورة ٦٦ آية ٢١ .
٥ Arabia Felix, PP., 180, Ency. Brit., Vol., 2, P., 173.

(بطلميوس) (Jobaritai) الذين سأحدث عنهم^١ . وفي الجهة الشمالية الشرقية من وبار ، رمال (يرين) ، وكانت من المناطق المأهولة كذلك ، ثم دخلها الحراب^٢ .

٣ - النفود :

أما النفود ، وهو اسم لم يكن يعرفه العرب^٣ ، فهي صحراء واسعة ذات رمال بيض أو حر تلووها الرياح فتكون كثباناً مرتفعة، وسلاسل رملية متموجة، تبتدىء من واحة (تيماء) ، وتمتد الى مسافة ٤٥٠ كيلومتراً تقريباً نحو الشرق ، ويبلغ امتدادها من الجوف الى جبل شمر زهاء ٢٥٠ كيلومتراً تقريباً. وقد عرفت أيضاً بـ (الدهناء) و بـ (رملة عالج) ، ثم تغلب عليها اسم (النفود) وصارت تعرف به^٤ .

وتعد النفود من الأماكن المائلة أو المنحدرة ، ويظهر من القياسات (وان كانت قليلة جداً) ، ان المنطقة الشرقية من النفود أوطأ من مستوى المنطقة الغربية عند خط طول (٢٧) درجة و (٣٠) دقيقة ، بما يزيد على ١٥٠ متراً، أي ان هذه البادية مرتفعة في الغرب ، آخذة في الانخفاض والميل في الشرق^٥ .

وقد نتج عن هذا الميل والانحدار المتوالي ان الرمال التي كانت الرياح الشمالية أو الشمالية الغربية تحملها ، تراكمت في المنخفض ، فأصبحت الحدود الغربية والشرقية لهذه المنطقة مرتفعة بالنسبة اليها ، بحيث صار (الحجاد) يشرف عليها اشراقاً تاماً^٦ .

ويغطي وجه (النفود) ، كثبان من الرمال متموجة يبلغ ارتفاع بعضها

-
- ١ البلدان (٣٩٢/٨) ، Philby, The Empty Quarter, PP., 157, Ency., Vol., 1, P., 370 Vol. 4, P. 1073.
 - ٢ البلدان (٩٦/٦) ، صفة (ص ٨٤٤٥١ ، ١٣٧ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٦٥) . Ency., Vol., 1, P., 370.
 - ٣ فجر الاسلام (١/١) .
 - ٤ (رمل عالج) باللام المكسورة والجيم ، (رملة عالج) ، البلدان (٩٦/٦) ، Moritz, S., 15, Handbook of Arabia, Vol., P., 11.
 - ٥ Ency. Brit., Vol., 2, P., 173, Moritz, S., 15, Musll, in the Arabian Desert PP. 124.
 - ٦ Moritz, S., 15.

زهاء (١٥٠) متراً ، ولذلك لا يعد سطح بادية النفود سطحاً مستوياً منبسطاً . وتأخذ هذه المرتفعات مختلف الأشكال ، فتكون في أغلب الأحيان على شكل نعل الفرس ، ويكون اتجاهها من الغرب نحو الشرق، وتكون أبعادها وأعماقها مختلفة ، وتسمى (القعور) . وقد تركت أثراً عميقاً في مخيلة المسافرين ورجال القوافل^١ . وبعد الأشنية الممطرة تتحول هذه المنطقة الرملية الموحشة الى جنة حقيقية فتظهر الرمال وكأنها قد فرشت ببسط خضر ، يزينها الزهر والشقائق ويختلف الأعشاب الصحراوية ، ويتجمعها الأعراب للرعي . وقد تنمو فيها النباتات المرتفعة ذات السيقان القوية كبعض أنواع (الغصّى) ، فتكون أدغالاً محتطب منها البلو ، وقد يحرقونها لاستخراج الفحم منها^٢ . وهذه الأعشاب والنباتات ، لا تظهر إلا في المنطقة ذات الرمال الحمر (نفود سمرا) . أما النفود البيضاء المؤلفة من رمال نشأت من تفتت أحجار (الكوارتز) فلإنها في أكثر الأماكن غير منبثة^٣ .

ولكن هذه الجنة الأرضية جنة قصيرة العمر ، لا يدوم عمرها الا أسابيع قليلة ، ثم يحل بها الجفاف ، وتهب السهائم ، فتقضي على كل ما نبت في هذه البادية، فتبدو كالحلقة عابسة مزعجة منفرة، وكان انساناً كنس وجهها كنساً أزال عنه كل أثر لذلك الجمال . وتهب في شهر نيسان رياح حارة من الشرق والجنوب ، ورياح في شهور الصيف ، تحرق البادية حرقاً ، حتى تغدو وكأنها جحيم^٤ . وفي العربية ألفاظ عديدة لها صلة بالبادي ، كثرت وتعددت لاتصال حياة العرب بها ، منها ما لها علاقة بشكل البادية وظاهر وجهها ، ومنها ما لها علاقة بطبيعتها وبتركيبتها ، الى غير ذلك من مصطلحات ، نشأ بعضها من تعدد لهجات العرب ولغاتها ، اذ تسمى قبيلة البادية باسم ربما لا تعرفه قبيلة أخرى ، وهكذا تنوعت التسميات .

مصدر الصحارى :

واذا سألتني عن مصدر هذه الصحارى المزعجة التي سميت جزيرة العرب بسمه

١ Euting, in "Zeitschr. der Ges. f.ue Erdkunde zu Berlin" No. 5, Tagebuch, 1, 144.

٢ Moritz, S., 16.

٣ Moritz, S., 16. f., A Blunt, Pilgrimage to Nejd, 2, 55.

٤ Handbook of Arabia, Vol., 1, P., 12, Moritz, S., 17.

خاصة ، وصيرت معظم أهلها بدواً بالرغم منهم ، فأقول لك : إن الرأي المنتشر أن هذه الصحارى تكونت من تفتت الأحجار الرملية بتأثير الرياح والجفاف فيها^١ . ويؤيد وجود مثل هذه الأحجار في الشمال الغربي من بلاد العرب هذا الرأي كثيراً ، ويظهر أنه رأي علمي ينطبق على بعض الصحارى انطباقاً كبيراً ، غير أنه لا يحل مشكلة مصدر الرمل الأحمر المتكون من أحجار غير رملية الذي يغطي مساحات واسعة من صحراء النفود ، بينما الرمل الناشئ من الأحجار الرملية لا يغطي إلا مساحات ضيقة بالنسبة إلى المناطق الأخرى . وهذا يدل دلالة صريحة على أن رمال (النفود) لم تتكون من تفتت الأحجار الرملية حسب ، بل من عوامل أخرى كالتقلبات الجوية وتأثيرها في قشرة الأرض^٢ .

يكون ظاهر التربة الأجرد معرضاً لحرارة الشمس والتغيرات الجوية مباشرة ، إذ لا أشجار تحميه ، ولا أعشاب تحافظ على تماسك ذراته وحفظها من تلك التغيرات . فإذا انقطعت الأمطار ، جفت التربة ، فتفتت تدريجياً ، وتستطيع الرياح أن تعث فيها بكل سهولة ، وتتمكن الرياح التي سرعتها ١٨ كيلومتراً في الساعة من إثارة الطبقات الرملية الخفيفة والأتربة الباقية المبعثرة على سطح الأرض .

وإذا هبت الرياح بسرعة ٣٣ كيلومتراً في الساعة ، امتلأ الجو بالغبار . فإذا ازدادت السرعة ، استحالت إلى عواصف ، تؤثر تأثيراً كبيراً في سطح الأرض فتحمل ما عليه من أتربة ، وتعرض الطبقات السفلى التي كانت تحت هذه الأتربة لفعل الجو المباشر ، ليحدث لها ما حدث في الطبقة التي كانت فوقها ، وهكذا تتحول هذه المناطق إلى صحارى ، وتتكون الرمال حينئذ من التربة المتفتتة لا من تهشم الأحجار الرملية أو الكلسية وحدها^٣ .

وتهب مثل هذه الرياح في الشمال الغربي من جزيرة العرب من نهاية شهر (آذار) مارس حتى نهاية شهر (أيار) مايس ، وتهب في أغلب الأحيان هبوباً فجائياً ، وتستمر يومين أو ثلاثة أيام ، وتنتهي في بعض الأحيان برعد

١ Moritz, S., 17.

٢ المصدر نفسه .

٣ Moritz, S., 17, Arabia Deserta, Vol., 2, P., 656.

وبرق . وعند حدوث هذه الزوايح يغير الأفق ويكفهر وجه السماء ، ثم تهب بعد لحظات عواصف شديدة وأعاصير ، تضفي على الجو لوناً قاتماً، وأحياناً مائلاً الى الصفرة أو الحمرة بحسب لون الرمال التي تحملها الرياح ، وتختفي الشمس ، وتؤثر هذه (العجاجة) في النبات والأشجار تأثيراً كبيراً . وإذا استمرت مدة طويلة ، سببت تلف قسم كبير من المزروعات في الأماكن المزروعة^١ .

وقد أشار الكتاب اليونان والرومان الى البادية، كما عرفها العبرانيون . ولكلمة (حويلة Havilah) ، ومن معانيها الأرض الرملية^٢ ، أي تخم بني اسماعيل - وأولادهم وهم البدو - ولهذا المدلول علاقة كبيرة بمعنى صحراء^٣ . وقد ذهب بعض علماء التوراة الى انها تعني النفود^٤ .

وتفصل العراق عن بلاد الشام بادية واسعة ، تعرف بـ (بادية الشام) أو (البادية) ، أو (خفاف) ، ويقال للقسم الجنوبي منها - وهو القسم الذي بين الكوفة والسماوة من جهة ، وبينها وبين الشام من جهة أخرى - (بادية السماوة)^٥ ، ويسميتها العامة (الحجاد) أو (حماد)^٦ .

الدارات :

وفي بلاد العرب (الدارات) ، والدارة : كل جوبة بين جبال في حزن كان ذلك أو سهل أو رمل مستدير ، في وسطه فجوة ، وهي الدورة ، وتجمع الدارة على دارات^٧ . فهي أرض سهلة لينة بيض في أكثر الأحيان ، وتنتب فيها

١ Moritz, S., 17.

٢ Moritz S., 17, Diodorus, 2, 54, Strabo, XVI, 3.

٣ التكوين ، الاصحاح الثاني ، الآية ١١ ، الاصحاح العاشر الآية ٧ ، الاصحاح ٢٥ ، الآية ١٨ ،

٤ قاموس الكتاب المقدس (٣٩٨/١) ،

Hastings, P., 333, Ency. Bibl., P., 1974, Glaser, Skizze, 2, S. 323 E. Meyer, Geschichte des Alterthums, Bd., 1, S., 224 Delitzsch, Wo lag des Paradies? S., 12, 57.

٥ البلدان (٣٦٦/٣) ، (١٢٠/٥) .

٦ Handbook of Arabia, 1, P., 12, Ency. Brit., Vol., 2, P., 173.

٧ البلدان (١٤/٤) ، القاموس المحيط (٢١/٢) ، (كتاب الدارات) للاصمعي بعناية (أوغست هفنز) ، في مجلة المشرق ، السنة الاولى ، الجزء الاول سنة ١٨٦٨ ص ٢٤ وما بعدها .

الأعشاب والصلبان والنباتات الصحراوية^١، ويبلغ عددها زهاء عشر دارات ومئة^٢.
 ولبعض هذه الدارات شهرة ، اذ وردت أسماءها في الشعر الجاهلي والإسلامي ،
 مثل (دارة جلجل) ، التي ورد ذكرها في شعر امرئ القيس الكندي^٣ .
 و (دارة الآرام) وكانت مملوءة من شقائق النعمان ، كما جاء ذلك في شعر
 برج بن خنزير المازني الذي كلفه الحجاج بن يوسف حرب الخوارج^٤ .

الجبال :

تكون سلسلة جبال السَّرات العمود الفقري لجزيرة العرب ، وتتصل فقراته
 بسلسلة جبال بلاد الشام المشرفة على البادية، المتحركة فيها تحكم الجنود في القلاع.
 وبعض قمم هذه السلسلة مرتفعة ، وقد تتساقط الثلوج عليها كجبل دباغ الذي
 يرتفع (٢,٢٠٠) متر عن سطح البحر^٥ ، وجبل وثر وجبل شيبان . وتنخفض
 هذه السلسلة عند دنوها من مكة ، فتكون القمم في أوطأ ارتفاع ، ثم تعود
 بعد ذلك الى العلو حيث تصل الى مستوى عسال في اليمن حيث تتساقط الثلوج
 على قمم بعض الجبال^٦ .

وتمتد في محاذاة السواحل الجنوبية لسلاسل جبلية تتفرع من جبال اليمن ، ثم
 تنجح نحو الشرق الى أرض عمان ، حيث ترتفع قمم الجبل الأخضر ارتفاعاً يتراوح
 من تسعة آلاف قدم الى عشرة آلاف قدم^٧ . وتتخلل هذه السلاسل الجنوبية
 أودية تمثل اتجاه مسابيل الأمطار الى البحر .

وتفصل بين البحر والسلاسل الجبلية سهول ساحلية ضيقة في الغالب ، ربما
 لا تتجاوز خمسة عشر ميلاً عن سواحل البحر الأحمر^٨ . وتكون هذه السواحل

- ١ البلدان (١٤/٤) .
- ٢ القاموس المحيط (٢١/٢) ، البلدان (١٤/٤) .
- ٣ البلدان (١٦/٤) ، مجلة المشرق العدد المذكور ص ٢٦ .
- ٤ فأبرق وارعد لي اذا العيس خلفت بنا دارة ارام ذات الشقائق
- ٥ البلدان (١٥/٤) المشرق ، العدد المذكور (ص ٢٦) .
Moritz, S., 5 f.
- ٦ الواسعي ، تاريخ اليمن ، ص ٨٠ ، حتى ٢١ (الترجمة العربية) .
- ٧ Ency. Brit., Vol., 2, P., 169.
- ٨ Ency. Brit., Vol., 2, P. 169.

حارة رطبة في الغالب ، يتضابق منها الانسان ، وتكون غير صحية في بعض الأماكن . ويطلق على بعض أقسام التهامم (الغور) و (السافلة) ، لانخفاض بقاعها . وقد ذهب بعض العلماء الى اطلاق تهامة على طول الأغوار الساحلية الممتدة من شبه جزيرة سيناء وبحر القلزم الى الجنوب^١ . وسأحدث عنها فيما بعد . وتكون هذه السلاسل مانعاً - للأشجرة المتصاعدة من البحر الأحمر والبحر العربي - من وقوع الأمطار في أواسط بلاد العرب وفيما وراء السفوح الشرقية للسراة والسفوح الشمالية للسلاسل الجبلية الجنوبية ، لذلك كثرت الأودية القصيرة التي تسيل فيها المياه في هذه المناطق ، وزادت فيها امكانيات الخصب والزراعة عن البقاع التي وراء السراة حتى الخليج .

وفي نجد ، وهي هضبة يبلغ ارتفاعها زهاء ٢٥٠٠ قدم ، منطقة جبلية تتكون من (الغرانيت) ، يقال لها جبل (شمر) ، وهي من مواضع (طيء) التي اشتهر أمرها قبل الإسلام اشتهاراً كبيراً ، وقد عرفت قديماً بجبلتي طيء . وتتألف من سلسلتين ، يقال لإحدهما أجأ ، وللأخرى سلمى^٢ . وهناك منابع عديدة للمياه في شعاب هذه السلسلة وفي السهل الكبير المنبسط بينهما . ويمكن الحصول على المياه فيها بوفرة تحت طبقات الرمال والصخور^٣ . وأما جبل (طويق) فهو مرتفعات تقع في الوسط الشرقي من نجد وفي جنوب شرقي الرياض ، وتتألف من الحجارة الرملية وتحيط بها الصخور والحجارة الكلسية ، وتدل البحوث على أن من الصخور والمواد البركانية ما قذفته البراكين الى هذه الجهات^٤ .

الأنهار والأودية :

ليس في جزيرة العرب أنهار كبيرة بالمعنى المعروف من لفظة نهر مثل نهر دجلة أو الفرات أو النيل ، بل فيها أنهار صغيرة أو جعافر . وهي لذلك تعد في جملة الأرضين التي تقل فيها الأنهار والبحيرات، وفي جملة البلاد التي يتغلب

-
- ١ البلدان (٤٢٦/٢) ، (٣١١/٦) ، صفة (ص ٥٤ ، ١١٩ وما بعدها) ، بلوغ الأرب (١٨٨/١) .
٢ تاريخ نجد ، للالوسي (ص ٢١) . Moritz, S., 6, Handbook, Vol., 1, P., 13.
٣ وهبة ص ٦٣ .
٤ Moritz, S., 6.

عليها الجفاف . ويقل فيها سقوط الأمطار ، ولذلك أصبحت أكثر بقاعها صحراوية قليلة السكان . غير انها كثيرة الأودية، تنطفي عليها السيول عند سقوط الأمطار ، فتصير وكأنها طاغية مزبدة . وهي في الغالب طويلة ، تسير في اتجاه ميل الأرض . أما الأودية التي تصب في البحر الأحمر أو في البحر العربي، فلإنها قصيرة بعض الشيء ، وذات مجرى أعمق ، وانحدار أشد ، والمياه تسيل فيها بسرعة فتجرف ما يعترضها من عوائق ، وتنحدر هذه السيول الى البحر فتضيع فيه ، ومن الممكن الاستفادة منها في الأغراض الزراعية والصناعية . وقد تكون السيول خطراً يهدد القوافل والمدن والأماكن ، ويأتي على الناس بأفدح الخسائر . وفي كتب المؤلفين الإسلاميين لإشارات الى سيول عارمة جارفة، أضرت بالمدن والقرى والمزارع وبالقوافل والناس ، إذ كانت قوية مكنتها من جرف الأبنية والناس ، ومن إغراقهم حتى ذكر أن خراب عاصمة اليامة القديمة كان بفعل السيل ، وأن كثيراً من المزارع والأموال هلكت وتلفت بفعل لعب السيول بها لعباً لم تتحمله ، فهلكت من هذا المزاح الثقيل^٢ .

وليس في استطاعة أحد التحدث عن ملاحه بالمعنى المفهوم من الملاحه في نهيرات جزيرة العرب ، وذلك لأن هذه النهيرات اما قصيرة سريعة الجريان منحدرة انحداراً شديداً ، واما ضحلة تجف مياهها في بعض المواسم فلا تصلح في كلتا الحالتين للملاحه . وهي أيضاً شعبية بالثروة الحيوانية ، وليس فيها إلا مقادير قليلة من الأسماك .

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن كثيراً من أودية جزيرة العرب كانت أنهاراً في يوم من الأيام . واستدلوا على ذلك بوجود ترسبات في هذه الأودية ، هي من نوع الترسبات التي تكون في العادة في قيعان الأنهار ، ومن عثور السياح على عاديات وآثار سكن على حافات الأودية . ومن نص بعض الكتبة (الكلاسيكيين) على وجود أنهار في جزيرة العرب . فقد ذكر (هيرودوتس) نهراً سماه «كورس» زعم انه نهر كبير عظيم ، يصب في (البحر الأريتوي) ، ويقصد به البحر الأحمر ، وزعم أن العرب يذكرون أن ملكهم كان قد عمل ثلاثة أنابيب صنعها

١ فتوح البلدان للبلاذري ، الفصل الذي عقده لآخبار السيول ، الطبري والازرقى في أخبار السيول .

٢ Naval, PP., 24.

من جلود الثيران وغيرها من الحيوانات ، امتدت من هذا النهر الى البادية مسيرة اثني عشر يوماً ، حملت الماء من النهر الى مواضع منقورة ، فحرت لخزن المياه الآتية من ذلك النهر فيها^١ .

وهناك موضع على مقربة من ساحل البحر الأحمر اسمه (قرح)^٢ على مسافة ٤٣ كيلومتراً من (الحجر) في مكان يمر به خط الحديد الحجازي في منطقة صحراوية ، وكان في الأزمنة السابقة من المحلات المزروعة ، وبه بساتين عدة تعرف بـ (بساتين قرح) ، وعلى مقربة منها (سقيا يزيد) أو (قصر عنتر) (اسطبل عنتر) ، كما تعرف به في الزمن الحاضر على بعد ٩٨ كيلومتراً من المدينة . والى شماله (وادي الحمض) الذي يرى بعض العلماء أنه المكان الذي أراده (هيرودوتس)^٣ .

وذكر (بطليموس) نهراً عظيماً سماه (لار) Lar ، زعم انه ينبع من منطقة (نجران) ، أي من الجانب الشرقي من السلسلة الجبلية ، ثم يسير نحو الجهة الشمالية الشرقية مخترقاً بلاد العرب حيث يصب في الخليج العربي^٤ . ولا يعرف من أمر هذا النهر شيء في الزمن الحاضر ، ولعله كان وادياً من الأودية التي كانت تسيل فيها المياه في بعض المواسم ، أو كان بقايا نهر ، أثرت في مياهه عوامل الجفاف . ويرى (موريتس) ان هذا النهر الذي أشار إليه (بطليموس) ، هو وادي الدواسر ، الذي يمس حافة الربع الخالي عند نقطة تبعد زهاء خمسين ميلاً من جنوب شرقي السليل ، وتمده بعض الأودية المتجهة من سلاسل جبال اليمن بمياه السيول^٥ ، وتغيض مياهه في الرمال في مواضع عديدة ، فتكون بعض الواحات التي يستقى منها ، ويزرع عليها . ويلاحظ وجود مياه غزيرة في واديه ، في مواضع لا تبعد كثيراً عن القشرة . وهذا مما

Herodotus, Vol., 1,P., 214, Bertram Thomas, The Arabs, P., 350. ١

٢ البكري ٧٨٧ ، المقدسي ٨٣ ، ٩٨ ، ١١٢ ، (قرح) بالضم ثم السكون ، البلدان (٤٨/٧) وكانت من اسواق العرب في الجاهلية ، وزعم بعضهم ان بها كان هلاك عاد قوم هود ، مما يدل على انها من المواضع القديمة في بلاد العرب .

٣ (اسطبل عنتر) ، وهبه ص ٢٠ ، والظاهر انها كانت تعرف بـ (سقيا) ، وهي من المواضع الجاهلية القديمة ، البلدان (٩٤/٥) .

Moritz, S. 21. ٤

٥ وهبه ٥٤ ، الالوسي ، تاريخ نجد (ص ٢٩) .

يحمل على الاعتقاد بوجود مجاري أرضية تحت سطح الوادي ، وانه كان في يوم ما نهراً من الأنهار ، غير اننا لا نستطيع أن نتكهن في أمر هذا الوادي أكان نهراً جارياً في زمن بطلميوس كما أشار الى ذلك ، أو كان وادياً رطب القيعان لم تكن عوامل الجفاف قد أثرت فيه أثرها في الزمن الحاضر. لذلك كانت تمكث فيه السيول والأمطار المتساقطة على السفوح الشرقية لجبال اليمن مدة أطول مما هي عليه الآن^١ . والرأي عندي ان هذه الأنهار وأمثالها التي يشير اليها المؤلفون اليونان والرومان ، لم تكن في الواقع وبالنسبة الى ذلك الزمن الا سيولاً عارمة جارفة سمعوا بأخبارها من تجارهم ومن بعض رجالهم الذين كتب لهم الذهاب الى بلاد العرب أو اتصلوا بالعرب ، فظنوا انها أنهار عظيمة على نحو ما ذكروه . فلا يعقل وجود الأنهار الكبيرة في ذلك الزمن ، اذ كان الجفاف قد أثر تأثيره في إقليم جزيرة العرب قبل ذلك بأمد طويل ، فلا مجال لبقاء أنهار على النحو الذي يذكره أولئك الكتاب .

وينطبق هذا الاحتمال على الأودية الأخرى ، وهي كما قلت كثيرة ، ومنها وادي الرمة ووادي الحمض ، وبعد هذان الواديان من الأودية الجافة ، إلا في مواسم الأمطار الشديدة حيث تصب السيول فيها ، غير أن لها مجاري أرضية ، تشير الى تلك الحقيقة ، ويمكن الحصول على المياه فيها بجحر الآبار على أعماق ليست بعيدة عن السطح . وقد تظهر على سطح الأرض في بعض المحال ، وربما كانا قبل آلاف السنين ، أنهاراً تجري فيها المياه، قروي ما عليها من أرضين^٢ .

يتكون (وادي الرمة) عند (حرة خيبر) أو (حرة فلك)^٣ من التقاء بضعة أودية ممتدة من الشمال على ارتفاع ستة آلاف قدم ، ثم تنجه بعد ذلك نحو الشرق ثم تأخذ اتجاهها جنوبياً شرقياً حيث تتصل بـ (الجرير) أو (الجريب) كما كان يعرف سابقاً ، وهو من أوسع فروع وادي الرمة . ويتجه هذا الوادي

١ Moritz, S., 21.

٢ Moritz, S., 21, Philby, in the Geogr. Journ, CXIII, (1949), 86.

٣ ويقال له (بطن الرمة) بضم الراء وتشديد الميم ، وقد يقال بالتخفيف ، البلدان (٢١٩/٢) ، ومنها وادي القصيم ، المسمى وادي الرمة (تاريخ نجد ، للالوسي (ص ٢٩) .

٤ (الجريب) بالفتح ثم الكسر ، البلدان (٩١/٣) ، Moritz, S., 23

نحو الشرق حيث يصل الى (بريدة) ، ثم ينعطف نحو الشمال الشرقي فالشرق الى (القصيم) حيث يسمى بعد ذلك (الباطن) (البطن) ثم يتفرع الى فرعين يخترقان منطقة صحراوية ، ويسير أحدهما في (النفود) حيث يتصل بالدهناء إلى أن يبلغ موضعاً قرب البصرة^١ . ويبلغ طول هذا الوادي زهاء ٩٥٠ كيلومتراً أو أكثر^٢ .

وأما مبدأ وادي الحمض أو وادي لإضم كما كان يسمى قديماً ، فمن جنوب حرة خيبر ، ثم يتجه نحو الجنوب الغربي الى أن يصل الى يثرب حيث تتصل به أودية فرعية أخرى ، منها (وادي العقيق) ، ويتصل به كذلك (وادي القرى) ، ويستمد مياهه من السيول التي تنحدر اليه من الجبال من العيون التي عند خيبر حيث يصب في البحر الأحمر في جنوب قرية الوجه . وعند هذا المصب بقايا قرية يونانية قديمة ، وبقايا معبد يعرف عند الأهلين (كصر كريم)^٣ ، وهو من مخلفات المستعمرات اليونانية القديمة التي كان الملاحون والتجار اليونانيون قد أقاموها عند ساحل البحر الأحمر لحماية سفنهم من القرصان ، وللاتجار مع الأعراب ، ولتموين رجال القوافل البحرية بما يحتاجون اليه من ماء وزاد . ويعتقد (موريتس) أن هذا الموضع هو محل مدينة (لويكه كومه) (Leuke Kome) المشهورة التي وصل اليها (أوليوس كالوس) لما هم بفتح اليمن^٤ ، على حين يرى آخرون أن هذه المدينة هي في المحل المعروف باسم (الحوراء) . ويبلغ طول وادي الحمض زهاء ٩٠٠ كيلومتر^٥ .

- ١ (البطن) (بطن الرمة) ، البلدان (٢١٩/٢) ، صفة ١٤٤
- ٢ وهبه ص ٢ ، (القصيم) ، بالفتح ثم الكسر على (فعيل) قال الاصمعي : (وأسافل الرمة تنتهي الى القصيم) ، البلدان (١١٦/٧) ، (بطن) الحماسة (فرايتاك) ٦٠٨ ، صفة ١٤٤ ، الدينوري : الاخبار ، ١٦٠ ، ٢٥٨ ، ويرى (موريتس) احتمال كون نهر (بيشون Plischon) الذي هو احد انهار الجنة الاربعة في التوراة هو وادي الرمة ،
Moritz, S., 23, Handbook of Arabia, Vol., 1, P., 10.
- ٣ (اضم) بالكسر ثم الفتح وميم ، قال ابن السكيت : اضم واد يشق الحجاز حتى يفرغ في البحر ، البلدان (٢٨١/١) ، وادي (الحمض) ، البلدان (٣٤٢/٣) .
Moritz, S., 24, Pauly-Wissowa, Leuke Kome.
- ٤ (الحوراء) بالفتح والمد ، كانت بها اثار خرائب قديمة حتى ايام ياقوت الحموي وكانت قد هجرت في ايامه ، وكانت ميناء المصريين الى المدينة ، البلدان (٣٥٩/٣)
Moritz, S., 21.

وهناك (وادي حنيفة) ، وهو من الأودية المهمة كذلك ، يبتدىء من غرب (جبل طويق) ثم يتجه نحو الشرق نحو الخليج العربي . وهو مهم ، ويمكن الحصول على المياه فيه بطريقة حفر الآبار ، لأن الماء غير بعيد عن قاعه . وأما عند هطول الأمطار ، فإن المياه تجري إليه من السفوح فتسيل فيه .

ولقلة المياه في بلاد العرب ، انحصرت الزراعة فيها في الأماكن التي حبتها الطبيعة بمواسم تتساقط فيها الأمطار مثل العربية الجنوبية ، وفي الأماكن التي ظهرت فيها عيون وينابيع ، مثل وادي القرى في الحجاز ، والأحساء على الخليج العربي . وفي الأودية والأماكن التي تكثرت فيها المياه الجوفية ، حيث استنبطت المياه منها بحفر الآبار . والزراعة في هذه الأماكن — باستثناء العربية الجنوبية — هي زراعة محدودة ، حدودها ضيقة ، وآفاقها غير بعيدة ، ونتاجها قليل لا يكفي لإعاشة كل السكان .

وقد لُزمت سكان الأرضين التي تغيث السماء أرضهم ، بانزال الغيث عليها ، الاستفادة من الأمطار المنهمرة ، بحصرها وتوجيهها إلى مخازن تخزنها لوقت الحاجة ، وذلك بإنشاء السدود وإقامة خزانات ذوات أبواب تفتح وتغلق لتوجيه المياه الوجهة التي يريدونها الإنسان . وقد أقيمت هذه السدود في مواضع متناثرة من جزيرة العرب ، خاصة في الأماكن التي يركبها المطر مثل العربية الجنوبية والعربية الغربية . وتشاهد اليوم آثار سدود جاهلية استعملها الجاهليون للاستفادة من مياه الأمطار .

ولما كانت الأمطار رحمة ونعمة كبرى ، إذا انحسرت نفقت لبسل العرب ومواشيهم ، صار انحباسها نقمة وهلاكاً ، وعدوا انحباسها عنهم غضباً من الآلة ينزل بهم ، ولهذا كان الجاهليون يتضرعون إلى آلهتهم ويتقربون إليها ، أن تنزل عليهم الغيث ، ولهم في ذلك صلوات وأدعية للاستسقاء سيأتي الحديث عنها في باب الدين عند الجاهليين .

وعلى خلاف العيون الحارة التي هي من آثار التفاعلات البركانية والتفاعلات الباطنية الكيميائية ، فإن في بلاد العرب عيون وينابيع وواحات ، صارت موطناً للزراع والزرع . وبعض هذه العيون ، تتدفق من الجبال والهضاب وبعد مجرى قصير تعود فتدخل باطن الأرض كما هو الحال في أرض (مدين) . وهناك

١ حافظ وهبه ، جزيرة العرب (ص ٤٦) . Handbook of Arabia, Vol., 1, P., 10.

عيون تتوقف حياتها على المطر . وقد استفاد الجاهليون من بعض العيون والينابيع فربطوها بكهاريز وبقنوات تجري فيها المياه تحت سطح الأرض الى بيوتهم ومزارعهم دون أن تتعرض للتبخر الزائد ، فتفقد كميات كبيرة من المياه تذهب هباء . وقد عثر على شبكات منها في عُمان وفي وادي فاطمة بالحجاز وفي اليمن^١ .

أقسام بلاد العرب :

قسّم اليونان واللاتين جزيرة العرب الى أقسام ثلاثة :

- ١ - العربية السعيدة Arabia Felix .
- ٢ - العربية الصخرية، وترجمت بالعربية الحجرية كذلك (Arabia Petrae) .
- ٣ - العربية الصحراوية Arabia Deserta .

وهو تقسيم يتفق مع الناحية السياسية التي كانت عليها البلاد العربية في القرن الأول للميلاد . فالقسم الأول مستقل ، والقسم الثاني قريب من الرومان ثم أصبح تحت نفوذهم ، وأما القسم الثالث فهو البادية الى نهر الفرات^٢ .

وقد أُشير الى العربية السعيدة والعربية الصحراوية في الموارد (الكلاسيكية) القديمة مثل جغرافية (سترابون)^٣ . ويرى بعض العلماء ان القسم الآخر وهو (العربية الصخرية) Arabia Petrae هو من اضافة (بطليموس) العالم الجغرافي الشهير ، وقد قصد به برية شبه جزيرة سيناء وما يتصل بها من فلسطين الى الأردن^٤. فهو في رأي هؤلاء أحدث عهداً في التسمية من التسميتين الأخريين. ولم يأخذ الجغرافيون العرب بالتقسيم (الكلاسيكي) ، مع أنهم وقفوا على بعض مؤلفاتهم ، كجغرافية بطليموس^٥ . الا ان جزيرة العرب عندهم ، هي (العربية السعيدة) في اصطلاح أكثر الكتبة اليونان واللاتين .

Naval, PP., 33. ١

Christina Phelps Grant, The Syrian Desert, London, 1937, P., 10, Ch. Forster, ٢
The Historical Geography of Arabia, in 2 Vols., Vol., 2 P., 109.

Strabo, vol., 3, P., 309. ٣

William Smith, A Dictionary of the Bible, Vol., 1, P., 91. ٤

Forster, 2, 109, Edward Gibbon, The Decline and fall of the Roman Empire, ٥
Vol., 5, P., 209, (Everyman's Library ed. 1931).

أما العربية السعيدة ، ويقال لها (Arabia Beata) و (Arabia Eudaimon) في اليونانية ، فهي أكبر الأقسام الثلاثة رقعة ، وتشمل كل المناطق التي يقال لها جزيرة العرب في الكتب العربية كما يفهم من بعض المؤلفات ، وليست لها حدود شمالية ثابتة ، لأنها كانت تتبدل وتتغير على حسب الأوضاع السياسية . ولكن يمكن القول إنها تبدأ في رأي أكثر الكتاب اليونان والرومان من مدينة (هيروبوليس) (Heropolis) على مقربة من مدينة السويس الحالية ، ثم تسير حدود العربية الحجرية الجنوبية ، ثم تخترق الصحراء حتى تتصل بمناطق الأهوار (أهوار كلديا) عند موضع (Thapsacus) . وقد أدخل بعض الكتاب هذه الأهوار في جملة العربية السعيدة ، وجعلها بعضهم خارجة عنها بحيث يمر خط الحدود في جنوبها الى أن تتصل بمصب شط العرب في الخليج^١ . وعرفت البادية الواسعة التي هي جزء من النفود والتي تمر بها حدود العربية السعيدة الشمالية ، باسم (Eremos) عند اليونان ، وهي امتداد لبادية الشام^٢ .

العربية الصحراوية :

ويقال لها في اليونانية (Arabia Eremos)^٣ . أما حدودها ، فلم يعينها الكتاب اليونان واللاتين تعييناً دقيقاً . ويفهم من مؤلفاتهم أنهم يقصدون بها البادية الواسعة الفاصلة بين العراق والشام ، أي البادية المعروفة عندنا ب (بادية الشام) . ويكون نهر الفرات الحدود الشرقية لها الى ملتقى الحدود بالعربية السعيدة . وأما الحدود الشمالية ، فغير ثابتة ، بل كانت تتبدل بحسب الأوضاع السياسية . وأما الحدود الغربية ، فكانت تتبدل وتتغير كذلك ، ويمكن أن يقال بصورة عامة إن حدودها هي المناطق الصحراوية التي تصاقب الأرضين الزراعية لبلاد الشام . فما كان بعيداً عن امكانيات الرومان واليونان ومتناول جيوشهم ، عد من العربية الصحراوية^٤ .

١ Ptolemy, VI, 7, 2, 27, Strabo, XVI, 4:2, Musil, Arabia Deserta P. 498 The Bible Dictionary, Vol., 1, P., 98, A. Grohmann, Arabian, S., 4.

٢ Musil, Arabia Deserta, P., 499.

٣ Musil, Deserta, P., 497, 511, Hitti, 44.

٤ Forster Vol., 2, P., 110 ff.

ويفهم من العربية الصحراوية أحياناً (بادية السماوة)^١، وقد يجعلون حدودها على مقربة من بحيرة النجف ، أي في حدود الحيرة القديمة ، حيث تبدأ (بطائح كلدية) التي كانت تشغل اذ ذاك مساحة واسعة من جنوب العراق . وعرفت عند بطليموس باسم (Amardocaea) ، وهي تمتد حتى تتصل بطائح (Maisanos Kolpos) أو (خليج مسنيوس) (خليج ميسان) ، الذي يكون امتداد الخليج العربي (Persikos Kolpos) . وكل ما وقع جنوب ذلك الخط الوهمي ، عدّ في العربية السعيدة^٢ .

وقد فهم (ديودورس) من (العربية الصحراوية) المناطق الصحراوية التي تسكنها القبائل المتبدية ، وتقع في شمالها وفي شمالها الشرقي في نظره أرض مملكة (تدمر) . وأما حدّها الشمالي الغربي والغربي حتى ملتقاها بالعربية الحجرية ، فتدخل في جملة بلاد الشام . وأما حدودها الشرقية ، فتضرب في البادية الى الفرات . فأراد بها البادية اذن . وقد جعل من سكانها الإرميين والنبط^٣ .

وتقابل العربية الصحراوية ، ما يقال له (أربى) عند الأشوريين ، و (ماتوأربى) عند البابليين ، و (أرباية) عند السريان والفرس .

كانت البادية ، بادية الشام ، أو (العربية الصحراوية) ، مأهولة بالقبائل العربية ، سكنتها قبل الميلاد بمئات السنين . وليست لدينا مع الأسف ، نصوص كتابية قديمة أقدم من النصوص الأشورية التي كانت أول نصوص أشارت الى العرب في هذه المنطقة ، وذكرت انه كانت لديهم حكومات يحكمها ملوك . وأقدم هذه النصوص هو النص الذي يعود تأريخه الى سنة ٨٥٤ ق. م^٤ . وقد ورد فيه اسم العرب في جملة من كان يعارض السياسة الأشورية ، ولما كان هذا النص يشير الى وجود مشيخة أو مملكة عربية ، يحكمها ملك فلا يعقل أن يكون العرب قد نزلوا في هذا العهد في هذه البادية ، بل تشير كل الدلائل الى أن وجودهم فيها كان قبل هذا العهد بأمد ، وربما كان قبل الألف الثاني قبل الميلاد . وقد كانت هذه القبائل تهاجم أرض ما بين النهرين وبلاد الشام ، وتكون مصدر

١ Musil, Deserta, P., 235.

٢ Musil, Deserta, P., 500, 503, Stephan of Byzantium, Ethnica, P., 237, (Ed. Meineke).

٣ Musil, Deserta, P., 499, Diodorus, Bibl. Hist., 11, 54.

٤ D.D. Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol., 1, 611.

رعب للحكومات المسيطرة على الهلال الخصيب ، وكانت تنتقل في هذه البادية الواسعة ، لا تعترف بفواصل ولا بحدود ، فتقيم حيث الكلاً والماء والمحل الذي يلائم طبعها^١ .

أما الروايات العربية ، وهي لا تستند الى وثائق أو نصوص جاهلية ، فقد رجحت وجود العرب في هذه الأرضين الى ما بعد الميلاد في الغالب ، ولم يتجاوز بعض من تجاوز الميلاد أيام (بخت نصر) وهو بالطبع حديث مغلوط فيه .

العربية الحجرية ، العربية الصحيرية :

وأما العربية الحجرية ، فنشمل الأرضين التي كان يسكن فيها الأنباط ، وخضعت لنفوذ الرومان والبيزنطيين . ويطلق ذلك الاسم ، أي العربية الحجرية ، على شبه جزيرة سيناء ، وعلى المملكة النبطية ، وعاصمتها (بطرا) (بتر) (البتراء)^٢ . وكانت حدود هذه المنطقة تتوسع وتتقلص بحسب الظروف السياسية وبحسب مقدرة العرب ، ففي عهد الحارث الرابع ملك الأنباط (من سنة ٩ ق.م الى سنة ٤٠ ب.م) اتسعت حدودها حتى بلغت نهايتها الشمالية مدينة دمشق^٣ . ولما ضعف أمر النبط ، استولى الامبراطور (تراجان) عام (١٠٦ م) على هذه المقاطعة وضمها الى المقاطعة التي كونها الرومان وأطلقوا عليها اسم (المقاطعة العربية) (Provincia Arabia) . ويظهر من وصف (ديودورس) لهذه المنطقة أنها في شرق مصر وفي جنوب البحر الميت ، وجنوبه الغربي وفي شمال العربية السعيدة وغربها^٤ . وان الأنباط يقيمون في الأرضين الجبلية وفي المرتفعات المتصلة بها التي في شرق البحر الميت ، وفي شرق وادي العربة ، وفي جنوب اليهودية حتى الخليج العربي ، (خليج العقبة)^٥ . وأما الأقسام الباقية ، فكانت تسكنها قبائل عربية قيل لها (سبئية) ، وهي تسمية كانت تطلق عند الكتيبة

Forster, Vol. 1, P., 347. ١

R.E. Brunnow und A. v. Domszewski, Die Provincia Arabia, in 3 Bd. ٢

Hitti, P., 44, 68. ٣

Diodorus, 11, 48, Musil, Hegaz, P. 309. ٤

Musil, Hegaz, P., 309, Deserta, P., 499. ٥

اليونان والرومان على أكثر القبائل المجهولة أسماءها، التي تقطن وراء مناطق نفوذ الأنباط والرومان ، ويعنون بذلك قبائل جنوبية في الغالب .

التقسيم العربي :

ويؤسفنا أننا لا نستطيع أن نتحدث عن وجهة نظر أحد من الجاهليين في أقسام بلاد العرب، لعدم ورود شيء من ذلك في النصوص أو في الروايات التي يرويها عنهم أهل الأخبار ، وكلهم مسلمون .

أما الإسلاميون ، فقد اكتفوا بجزيرة العرب ، فأخرجوا بذلك البادية الواسعة منها ، وأخرجوا القسم الأكبر مما دعاه الكلاسيكيون بالعربية الحجرية منها كذلك. وجزيرة العرب وحدها ، هي (العربية السعيدة) عند اليونان والرومان ، وما يقال له أيضاً بـ (Arabia Proper) في الانكليزية^١ .

وقد قسموا جزيرة العرب الى خمسة أقسام : الحجاز ، وتهامة ، واليمن ، والعروض ، ونجد^٢ . ويرجع الرواة أقدم رواياتهم في هذا التقسيم الى عبدالله بن عباس^٣ .

أما الحجاز ، فتمتد رقعته في رأي أكثر علماء الجغرافية المسلمين ، من نخوم الشام عند العقبة الى (الليث)^٤ ، وهو واد بأسفل السراة يدفع في البحر ، فتبدأ عندئذ أرض تهامة^٥ . وقد عد قسم من العلماء (تبوك) وفلسطين من أرض الحجاز^٦ . ويقال للقسم الشمالي من الحجاز أرض مدين وحسمى ، نسبة الى السلسلة الجبلية المسماة بهذا الاسم ، التي تنجس من الشمال نحو الجنوب^٧ ، وتتخللها

Forster, Vol., 2, PP., 112.

١ صفة (ص ٤٧ وما بعدها) ، البلدان (٢١٨/٣) ، المفضليات ص ٤١٦ .

٢ صفة ص ٤٦ .

٣ (الليث) بكسر اللام ثم الياء الساكنة والشاء المثناة ، البلدان (٢١٨/٣) ، (٣٤٦/٧) ، (اذا خلفت عجلزا صعدا فقد انجحت ، فلا تزال منجدا حتى تنحدر من ثنايا ذات مرق ، فاذا فعلت فقد اتهمت الى البحر ، واذا عرضت لك الحرار واثت منجد فتلك الحجاز) ، (حد الحجاز ، الاول بطن نخلة وظهر حرة ليلي ، والحد الثاني مما يلي الشام شعب ويدا ، والحد الثالث مما يلي تهامة بدر والسقيا ورهاط وعكاظ ، والحد الرابع شابة وودان ، ثم ينحدر الى الحد الاول) ، بلوغ الارب (١٨٧/١ وما بعدها) .

٤ البلدان (٢١٨/٣)

٥ البلدان (٢١٨/٣) .

٦ Ency., 1, 368, Handbook of Arabia, Vol., 1, P., 96.

٧ البلدان (٤١٧/٧) ،

أودية محصورة بين التيه وأيلة من جهة ، وأرض بني عدرة من ظهرة حرة نهيل من جهة أخرى^١ . وكانت تسكنها في الجاهلية قبائل جذام^٢ . ويسكنها في الزمن الحاضر عرب الحويطات ، ويعتقد المستشرقون أنهم من بقايا النبط^٣ .

وأرض (حسمى) ، أرض خصبة كثيرة المياه . وكانت من المناطق المعمورة ، وبها آثار كثيرة ومن جبالها جبل يعرف بـ (لامم)^٤ . ويرى بعض المستشرقين أن لهذا الجبل علاقة بموضوع (لامم) الوارد ذكره في القرآن الكريم وفي كتب قصص الأنبياء والتواريخ^٥ . ويرى (موريتس) أنه موضع (Aramaua) الذي ذكره (بطليموس) على أنه أول موضع من مواضع العربية السعيدة ، وأنه لا يبعد كثيراً عن البحر^٦ . ويقال له (رم) في الزمن الحاضر^٧ .

وتتخلل الحجاز أودية عديدة ، منها وادي لإضم الذي ورد ذكره في أشعار الجاهلية وفي أخبار سرايا الرسول^٨ . ووادي نخال ، ويصب في الصفراء بين مكة والمدينة^٩ . والصفراء واد من ناحية المدينة ، كثير النخل والزرع ، في طريق الحاج ، سلكه الرسول غير مرة ، وعليه قرية الصفراء ، وماؤها عيون تجري إلى ينبع ، وهي لجهينة والأنصار ولبني فهر ونهد ورضوى^{١٠} . ووادي (بدا) قرب أيلة ، يتصل بوادي القرى^{١١} . ووادي القرى واد مهم يقع بين العلا والمدينة ، ويمر به طريق القوافل القديم الذي كان شرياناً من شرايين الحركة

١ البلدان (٢٧٦/٣) ، لسان العرب (٢٤/١٥) .

٢ Ency., Vol., I, P. 368, Doughty, Vol. 2, P. 624.

٣ Ency., Vol., 2, P., 349.

٤ البلدان (٢٧٧/٣) .

٥ Mr. Horsfield, in Revue Biblique, XLI, (1932),

PP., 581, XLII, (1933), PP., 405, XLIII, (1934),

PP., 572, XLIV, (1935) PP., 45.

٦ Ptolemy, VI, 7 : 27, B. Moritz, in MFOB, III, P., 395, "Ausfluege in der Arabia Petraea".

٧ Musll, Hegaz, P., 273.

٨ البلدان (٢٨١/١) ، صفة ١٧١ .

٩ البلدان (٢٧٢/٨) .

١٠ البلدان (٢٧٢/٨) .

١١ البلدان (٣٦٧/٥) .

التجارية في العالم القديم ، ويقال له (وادي الديدبان)^١ ، ويصب فيه واديان هما : وادي جزل من الشمال ، ووادي الحمض من الجنوب ، يلتقي به واد آخر هو وادي التبيج ، أي وادي السلسلة^٢ . وكان عامراً جداً ، تكثر فيه المياه ، وتشاهد فيه اليوم آثار المدن والقرى^٣ . وقد عثر فيه على كتابات كثيرة لحياينة وسبئية ومعينية وغيرها ، سأحدث عنها .

ومن أهم مواضع وادي القرى (العلا) ، وقد نزله الرسول في طريقه الى تبوك^٤ . ويقع في موضع (ديدان) (ددان) (دندن) القديم . وبه واحة ونهر صغيره . ومدينة (قرح) ، وكانت من أسواق العرب في الجاهلية ، وقد زعم أنها القرية التي كان بها هلاك عاد^٥ . وتبعد عن خرائب (ديدان) بمسافة ثلاثة كيلومترات، وقد سكنتها قبائل (بلي) من القبائل العربية القديمة^٦ . وهي ملتقى طريق مصر القديم بطريق الشام . ويرى (موسل) أنها هي (العلا) ، دعيت بهذا الاسم فيما بعد^٧ . ولما سأل (دوتي) الأعراب القاطنين في هذه الأماكن عن (قرح) ، لم يعرفوا من أمرها شيئاً^٨ .

ووجد (دوتي) في قرى وادي القرى وخرايبه عدداً كبيراً من الحجارة المكتوبة بحرف المسند، وقد اتخذها السكان أحجاراً من أحجار البناء^٩ . وعثر في (الخريبة) على كتابات بهذا القلم ، وعلى آثار أبنية ومواطن حضارة وعلى ألواح من الحجر كان يستعملها الصيارفة لصف نقودهم عليها ، أو لذبح القرابين^{١٠} . كما شاهد موضعاً يقال له (اسطبل عنتر) على قمة جبل شاهق يرنو الى الوادي ولعله معبد أحد الأصنام التي كانت تعبد هناك .

١ البلدان (٨٧/٢)

٢ Ency., Vol., 4, P., 1077, Doughty, Travels in Arabia Deserta, London, 1936, Vol., 1, P., 187.

٣ Ency., Vol., 4 P., 1077.

٤ (وكان بين سبأ والشام قرى متصلة ، فكانوا لا يحتاجون من وادي سبأ الى الشام الى زاد) ، لسان العرب (٣٨/١٩) .

٥ البلدان (٢٠٧/٦) .

٦ وهبه ٢٠ .

٧ البلدان (٤٩/٧) .

٨ Musil, Hegaz, P., 295, Doughty, 1, P., 203.

٩ Musil, P., 295.

١٠ Doughty, I, P. 87

١١ Doughty, 1, P., 203 f.

تهامة :

وتبدأ حدود تهامة ، في رأي بعض الجغرافيين ، من بحر القلزم^١ ، فتكون المنطقة الساحلية الضيقة الموازية لامتداد البحر الأحمر^٢ . ويقال لتهامة الواقعة في اليمن (تهامة اليمن) ، ويختلف عرضها باختلاف قرب السلاسل الجبلية من البحر وبعدها عنه ، وقد يبلغ عرضها خمسين ميلاً في بعض الأماكن . وترتفع أرض تهامة الجنوبية الواقعة على البحر العربي ما اتجهت نحو الشرق ، وتشكون فيها سلاسل من التلال المؤلفة من حجارة كلسية ترجع الى العهود الجيولوجية الحديثة أو من حجارة بركانية^٣ .

ولانخفاض أرض تهامة قيل لها (الغور) و (السافلة)^٤ . وقد وردت لفظة تهامة على هذا الشكل (تهمت) (تهتم) في النصوص العربية الجنوبية^٥ .

ويظهر ان لهذه اللفظة علاقة بكلمة (Tiamtu) ، التي تعني البحر في البابلية . وبكلمة (تيهوم Tehom) العبرانية^٦ . وعندني ان هذه الكلمة ترجع الى أصل سامي قديم ، له علاقة بالمنخفضات الواقعة على البحر ، والتي تكون لذلك شديدة الرطوبة والحرارة في الصيف^٧ . ولهذا فإنها في العربية بلهجة القرآن الكريم وباللهجات الجنوبية السواحل المنخفضة الواقعة بين الجبال والبحر ، وهي حارة وحة شديدة الرطوبة كأنها من بقاع جهنم في الصيف .

اليمن :

حدّ اليمن في عرف بعض العلماء من وراء « تثليث » وما سامتها الى صنعاء

- ١ (القلزم) بالضم ثم السكون ثم زاي مضمومة وميم ، البلدان (١٤٥/٧) .
- ٢ راجع حدود تهامة في : البلدان (٣١١/٦) ، صفة ٥٤ ، ١١٩ ، ١٢١ ، بلوغ الأرب (١٨٨/١) .
- ٣ Ency., Vol., 4, P., 769.
- ٤ البلدان (٤٣٧/٢) ، (٣١١/٦) .
- ٥ Glaser 554, 618, Ency., Vol., 4, P., 764.
- ٦ Schrader, Die Kellinschriften und das Alte Testament, neu bearbeitet von Zimmern und Winckler, Berlin, 1903, S., 492.
- ٧ وسأشير اليه برمز : KAT

وما قاربها الى حضرموت والشحر وعمان، الى عدن أبين وما يلي ذلك من التهامم والنجود . وقيل : يفصل بين اليمن وباقي جزيرة العرب خط ، يأخذ من حدود عمان ويبرين الى ما بين اليمن واليامة فإلى حدود الهجيرة وتثليث وكثبة وجرش ومنحدراً في السراة الى شعف عنز وشغف الجبل أعلاه الى تهامة الى أم جحلم الى البحر الى جبل يقال له كرمم بالقرب من حضمة ، وذلك حد ما بين كنانة واليمن من بطن تهامة^١ . أما النصوص العربية الجنوبية ، فلم تثبت حدود اليمن . ولكن اليمن فيها وتسمى (يمنت) (يمنات) ، منطقة صغيرة ذكرت في نص يعود عهده الى أيام الملك (شمر يهرعش) ، المعروف في الكتب الإسلامية بـ (شمر يهرعش)^٢ ، بعد (حضرموت) في الترتيب . وعلى هذا الترتيب وردت أيضاً في نص (أبرهة) نائب النجاشي على اليمن . ويعود عهده الى سنة ٥٤٣ م^٣ .

وتحترق السراة اليمن من الشمال الى الجنوب حتى البحر ، وتتخللها الأودية التي تنساب فيها مياه الأمطار، وتمتد بين الهضاب والشعاب فلاة تنفرع من الدهناء من ناحية اليامة والفالج يقال لها (الغائط) ، وتظهر في أواسطها (الصيهدي) ، وتقع بين مأرب وحضرموت^٤ .

وفي شمال منطقة عدن صحراء تتصل بالربع الخالي ، يحترق الهضاب المهمة على عدن عدد من الأودية الجافة يظهر أنها كانت مسابيل مياه ، وأنها من بقايا

١ KAT, S., 492, anm., 2, P. Jensen, Keilinschr. Bibl., VI, 1, S. 559 Ency. Vol. 4 P. 764

٢ (قال الاصمعي : اليمن وما اشتمل عليه حدودها بين عمان الى نجران ، ثم يلتوى على بحر العرب الى عدن الى الشحر حتى يجتاز عمان ، فينقطع من بينونة ، وبينونة بين عمان والبحرين ، فليست بينونة من اليمن . . .) ، البلدان (٨١/٥) ، (٥٢٢/٨ وما بعدها) ، صفة ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٧٥ ، ١٨٨ ، البكري : معجم ما استعجم (١٦/١) ، ابن خرداذبه ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٨٩

بلوغ الارب (٢٠٢/١ وما بعدها) و Ency., Vol., 4, P. 1155

٣ الأكليل (١٠٨/٨ وما بعدها) ، التيجان ص ٢٢٢ فما بعدها ، اخبار عبيد ص ٤٢٨ ، تاريخ الطبري (٥٤٧/١ ، ٧٩٣ فما بعدها) ، (الطبعة الاوربية)

Glaser, Zwei Inschriften ueber den Dammbruch von Marib, in Mithell. der Vorder-Asiat. Ges. 1887.

٤ صفة ٨٤ ، البلدان (٤١٩/٥) .

أنهار جفت ، وتسيل في بعضها المياه عند سقوط الأمطار ، ومنها (وادي تبن)^١ ، وهو من بقايا نهر طويل ، له فروع عديدة ، وتمر به الطريق الرئيسية المؤدية إلى اليمن^٢ .

ويحترق حضرموت واد ، يوازي الساحل ، يبلغ طوله بضع مئات من الأميال ويتألف سطحه من أرضين متموجة تتخللها أودية عميقة تكثر فيها المياه ، في باطن الأرض ، وبعض تلاله مخصصة^٣ .

وفي حضرموت حجارة بركانية ومناطق واسعة ، يظهر أنها كانت تحت تأثير البراكين . والظاهر أن دورها لم ينته إلا منذ عهد ليس ببعيد^٤ . ويزرع الناس في هذه الأودية حيث يحفرون آباراً في قيعانها فتظهر المياه على أبعاد متفاوتة ، وهناك نهر يقال له نهر حجر^٥ .

ومن شرق سيحوت تبتدىء سواحل (مهرة) ، وتعرف عند الجغرافيين باسم (الشحر) . ومعنى كلمة (مهرة) في العربية الجنوبية القديمة (ساحل)^٦ . ويطلق اليوم اسم (الشحر) على الميناء الغربي وحده . وفي (قارة)^٧ مدينة (ظفار) ، وهي غير ظفار اليمن^٨ . وعند خليج ظفار كان موضع (Syagro) المشهور عند اليونان والرومان^٩ .

ويمتد إقليم ظفار من سيحوت إلى حدود عمان ، وهو هضبة يبلغ ارتفاعها ثلاثة آلاف قدم ، تهب عليها الرياح الموسمية ، وفوق جبالها تنمو أشجار الكندر التي اشتهرت بها بلاد العرب قبل الإسلام . وتشققها طولاً وعرضاً أودية تكسوها

١ Hugh Scott, In the High Yemen, P., 25, f.

٢ Handbook of Arabia, Vol., 1, P., 179 f.

٣ وادي عدم : الهلال ، الجزء السادس عشر ، السنة السادسة ، نيسان ١٨٩٨

ص ٦٠٣ ، Adolf von Wrede, S., 290, Ency., 1, P., 369.

٤ Ency., 1, P., 369, Reise, S., 287. ff.

٥ تاريخ حضرموت السياسي ، تأليف صلاح البكري (٣/١) ، (القاهرة ١٣٥٤) ، (نهر ميفع) ، الهلال ، العدد المذكور ص ٦٠٤ ، وقد تحدث صاحب المقال عن الآثار التي رآها في وادي عدم .

٦ البكري (١٤١/٢) فما بعدها ، Ency., 1, 369

٧ وتنمو في قارة نباتات الطيب والافاويه ، Hugh Scott, PP., 147.

٨ Reise, S., 39.

٩ Reise, S., 33, Forster, Vol., 2, P., 161, 166, 224 234.

الأعشاب وتنخلها الأشجار . وبها جبال (قرا) ^١ ، ومنحدراتها أرجوانية ، وقد تفتت الصخور الحمر فيها ، فأكسبت الأودية والسهول الحمرة ، وتوجد نهيرات وعيون ، ويمكن الحصول على المياه بحفر الآبار . ولا زال السكان يحفظون بعاداتهم القديمة الموروثة مما قبل الإسلام ^٢ .

ويظهر أن هذه المنطقة كانت أماكن (القرين) من الشعوب العربية الجنوبية القديمة ، وهناك قبيلة لا تزال حتى اليوم يقال لها (بنو قرا) ^٣ لعل لها صلة بالقرين .

ويتكلم أهل (مهرة) بلهجة خاصة ، يقال لها (المهرية) أو (الأمهرية) ، وهي متأثرة بالجزية ^٤ . كما يتكلم أهل قارة (قرا) بلهجة يقال لها (أحكيليلة) ، ويظن أنها من اللهجات العربية القديمة .

وتتألف أرض عمان من أماكن جبلية ، وهضاب متموجة ، وسهول ساحلية . وأكثر حجارتها كلسية وجرانيتية ، وفيها أيضاً حجارة بركانية . والظاهر أنها كانت من مناطق البراكين ^٥ . وفي مناطق التلال وفي (جعلان) عيون ومجاري مياه معدنية أكثرها ذات درجات حرارة مرتفعة . وتوجد آبار في (الباطنة) وفي المناطق المجاورة للصحراء وفي الأقسام الشرقية من عمان ^٦ .

وتنخل هضاب عمان وجبالها أودية معظمها جاف ، وتكون طرق المواصلات بين الساحل والأرضين الباطنة ، وجوؤها حار استوائي ، وتتجه الجبال من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ، وأعلى قمة فيها هي قمة الجبل الأخضر ، ويبلغ ارتفاعها تسعة آلاف قدم . والأرضون المحيطة بهذا الجبل ، خصبة ، وقابلة للاستثمار ^٧ .

Hugh Scott, P., 147. ١

اليافعي (٢٠١/٢) فما بعدها) . ٢

اليافعي (٢٠٦/٢) فما بعدها) . ٣

Reise, S., 33, Leo Hirsch, Reisen in Sued-Arabien, Mahra Und Hadramut, Leiden, 1897, S., 19, 34, 51, 52, 53. ٤

Handbook of Arabia, Vol., 1, P., 238, Ency. Brit., Vol., 16, P., 785. ٥

Handbook, Vol., 1, P., 238, Leo Hirsch, S., 183. ٦

S.H. Steinberg, The Statesman's Yearbook, London, 1948, P., 689. ٧

وفي عمان مدن قديمة ، منها (صحار) و (نزوة)^١ و (دبا) أو (دما) ، وكانت من المدن المهمة في أيام الرسول ، وهي عاصمة عمان الشمالية ، كما كانت سوقاً من أسواق الجاهلية ، وسكانها من الأزد . والعمانيون من الشعوب البحرية المحبة لركوب البحار ، ولهم صلات وروابط بسواحل افريقية والهند . ونجد بينهم عدداً كبيراً من الزنوج والهنود والفرس والبلوج^٢ .

العروض :

وأما العروض ، فيشمل اليمامة والبحرين وما والاها^٣ . وأغلب الأرضين فيه صحارى وسهول ساحلية ، ترتفع في الجهات الغربية عن ساحل البحر . ويمتد مرتفع الصمان الصخري موازياً لساحل الخليج ، متوسطاً بين الأحساء والدهناء . ومن أودية الأحساء ، وادي فروق في الجنوب ، وهو قسم من وادي المياه^٤ .

ومن أقسام العروض ، شبه جزيرة (قطر) التي تمتد من عمان الى حدود الأحساء^٥ . يشتغل سكانها بصيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ ، وقد عرفت بـ (Cataraei) عند (بلينيوس)^٦ . ومعظم أراضيها صحارى، وفيها واحات قليلة ، ويزرع السكان في بعض الأماكن على مياه الآبار^٧ . وقد عرفت قديماً بأنواع من الثياب والمنسوجات القطرية ، كانت تصدر الى الخارج ، كما عرفت بتصدير النجائب والنعام^٨ .

ويلى شبه جزيرة قطر ، (الأحساء) ، وكان يقال لهذه المنطقة قديماً (هجر)

١ البلدان (٣٠/٤) ، (٣٣٩/٥) ، (٢٨١/٨) .

٢ Steinberg, P., 690, O'shen, The Sand Kings of Oman, London, 1947.

٣ البلدان (١٠١/٣) ، (١٦٠/٦) .

٤ وهبة ٦٨ ، (الصمان) ، بالفتح ثم التشديد واخره نون ، البلدان (٣٨٣/٥) .

٥ البلدان (١٢٣/٧) ، Steinberg, P., 692.

٦ Pliny, Natura. Hist., VI, 28, 147, Ency., Vol., 2, P., 817 Sprenger, Geogr. Arab. S., 116, Skizze, BD., 2, S., 75.

٧ Ency., Vol., 2, P., 817, Fr. Stuhlmann, Der Kampf um Arabien, S., 177, Palgrave, Travels in Arabia, London, 1865, Vol., 2, PP., 232.

٨ البلدان (١٢٣/٧) .

والبحرين^١ . والقسم الأكبر من الأحساء ، سهل صحراوي ، يرتفع في الجهة الغربية عن ساحل البحر ، ويتخلله كثير من التلال ، يتجه بعضها باتجاه وادي المياه وجبل الطف^٢ . والمنطقة الساحلية ، سبخة في الغالب ، وتكثر فيها الآبار التي لا تبعد مياهها كثيراً عن سطح الأرض . وأغنى مناطق الأحساء ، منطقة الأحساء والقطيف في الجنوب حيث تكثر المياه من آبار وعيون^٣ .

وتظهر المياه الجوفية المنحدرة من الأمطار التي تتساقط بمقدار أربع عقد أو خمس عقد (انج) في السنة على حافات جبل (طويق) في (الهفوف) ، تظهر فيها على شكل عيون ، تبلغ زهاء أربعين عيناً ، جعلت المنطقة من أهم الواحات في المملكة العربية السعودية^٤ . وبحذاء هجر في الجنوب الغربي من مدينة القطيف تقع (العقير) ، وهي الآن ميناء صغير^٥ . وعلى مقربة منها خرائب عادية ، يعتقد العلماء أنها موضع (Gerrhaei) المدينة التجارية العظيمة التي اشتهر أمرها ، وبلغت شهرتها اليونان والرومان^٦ . وكانت محطة من المحطات التجارية العالمية ، وملتقى طرق القوافل التي كانت ترد من جنوب بلاد العرب قاصدة العراق . وقد أغرت الطامعين ، فطمعوا في الاستيلاء عليها ، وأوحت الى الكتبة (الكلاسيكيين) ، فكتبوا فيها قصصاً من نسج الخيال ، وتقع على خليج سمّاه (الكلاسيكيون) (Sinus Gerrhaicus) ، أي خليج جرها^٧ .

وتقع القطيف على خليج يشمل جزيرة (تاروت) وتعد المدينة البحرية الرئيسية في الأحساء ، يرتفع سطحها بضع أقدام عن سطح البحر ، وتكثر بها مياه العيون^٨ . وتشاهد عندها خرائب عادية ، يستدل منها على أن هذه المدينة كانت

- ١ وهبة ٦٨ . Handbook, Vol., 1, P., 298
- ٢ الطف ، بالفتح والفاء مشددة ، البلدان (٥١/٦) ، وهبة ٦٨ ،
- ٣ وهبة ٦٨ ، Handbook, Vol., 1, P., 298
- ٤ Sanger, The Arabian Peninsula, P., 58.
- ٥ وهبة ٧٢ فما بعدها ، البلدان (١٩٨/٦) ، مروج الذهب (٩١/١) ،
Handbook, Vol., 1, P., 308, Chesman, PP., 27,
- وكانت هجر قصبية بلاد البحرين ، البلدان (٤٤٦/٨)
- ٦ الجراء ، < Gerrael >
- Forster, Vol., P., 217, "Gerrael", Glaser, Skizze, Bd, 2, S. 75.
- ٧ Strabo, Vol., 3, P., 186, 187, Forster, Vol., 2 P. 217.
- ٨ Forster, Vol., I, P., 196, 197, 291, Vol., 2, P. 220. Cornwall in The National Geographical Magazine, April, 1948.

ذات تاريخ قديم ، ربما يعود الى آخر عهد من عهود العصر النحاسي .
 وفي هذه المنطقة ، يجب أن يكون موقع مدينة (بلبانا) (Bilbana)
 (Bilaena) (Bilana) ، احدى مدن (الجرهابسين)^١ . ومواطن قبيلتي
 (Gaulopes) و (Chateni) على سواحل خليج سماه (بلييوس)
 (Sinus Gaulopeus) أي (خليج كيبوس) . ويرى (شبرنكر) أنه
 (خليج القطيف)^٢ . ويذكرنا اسم (Chateni) (خطيني) باسم (الخط) ،
 ويطلق في العربية على سيف البحرين كله^٣ . وربما كان (كيبوس) ، الذي
 سمي الخليج به ، هو تحريف (Cateus) الذي يشير بكل وضوح الى اسم
 (القطيف) .

وأما جزيرة (تاروت) الصغيرة التي في هذا الخليج ، فالظاهر انها جزيرة
 (Tahr) أو (Taro) أو (Ithar) في جغرافية (بطليموس)^٤ ، وفيها
 مدينة (دارين) . ويظهر انها أقيمت على أنقاض أبنية قديمة ، ولعلها كانت
 مبعداً للإله (عشروت) . اشتهرت به ، ثم حذف المقطع الأول من اسم
 الإله اختصاراً ، وصارت تعرف بالمقطعين الأخيرين ، وهما (تاروت) .
 والقسم الأكبر من أرض الكويت منبسط ، وأكثر السواحل رملياً ، الا بعض
 الهضاب أو التلال البارزة . وفي المحال التي تيسر فيها المياه تتوافر الزراعة ،
 وأكثر ما يزرع هناك النخيل . وليس في الكويت من الأنهار الجارية غير مجرى
 واحد أو نهر يقال له (المقطع) ، يصب في البحر . ومشكلة ماء الشرب من
 أهم المشكلات في هذه الإمارة ، لأن ماء أغلب الآبار ملح أجاج ، ولذلك يضطر
 الأغنياء الى جلب المياه من شط العرب^٥ .

ومن أشهر مدن الكويت مدينة (الكويت) ، وهي العاصمة ، وهي على ساحل
 الخليج ، و (جهرة) ، وهي في منطقة زراعية خصبة ، ذات آبار على مقربة
 من خليج الكويت^٦ . ويظن أن الخندق الذي أمر بحفره (سابور ذو الأكتاف)

Forster, Vol., 2, P., 216, Glaser, Skizze, 2, S., 74. ١

Enc., 2, P., 821. ٢

البلدان (٤٤٩/٣) ، المفضليات ص ٢٤٥ . ٣

Forster, Vol., 2, P., 216. ٤

Forster, Vol., 1, P., 298, 301, Vol., 2, P., 216 217 220 Glasser Skizze 2 S. 76. ٥

Handbook, Vol., 1, P., 285, Ency., 2, P., 1173. وهبة ص ٧٦ ، ٦

(الجهرة) ، وهبة ٧٧ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٣ ، ومواضع أخرى ٧

Handbook, Vol., 1, P., 296.

ليحامي السواد من غزو الأعراب ، كان ينتهي في البحر عند (خليج كاظمة) في شمال الإمارة^١ .

وأرض الكويت ، مثل سائر أرض العروض ، كانت موطن شعوب قديمة ، فيظهر أن (Bukae) أو (Abucaei) أو (Abukae) ، وعاصمتهم مدينة (Coromanis) ، هم أسلاف بني عبد القيس ، وأن (Coromanis) ، المصدر اللغوي الذي اشتق منه (القرين) ، الاسم القديم للكويت^٢ .

ولعلّ (Idicare) هي (قارة) من مواضع الكويت^٣ ، وان (Jucara) هي (الجهرة) من أنحصب مناطق الكويت في الزمن الحاضر، وكانت من المواضع المأهولة قبل الإسلام^٤ .

وقد عرف (ياقوت) البحرين بأنها الأرضون التي على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان ، وذكر أن من الناس من يزعم أن البحرين قسبة هجر ، وأن منهم من يرى العكس ، أي ان هجرأ هي قسبة البحرين^٥ .

أما (أبو الفداء) فذكر أن البحرين هي ناحية على (شط بحر فارس) ، وهي ديار القرامطة ولها قرى كثيرة ، وبلاد البحرين هي هجر . وذكر أيضاً أن من الناس من يرى أن هجرأ اسم يشتمل جميع البحرين كالشام والعراق ، وليس هو مدينة بعينها . ويظهر من دراسة ما ذكره العلماء عن البحرين أن رأيهم في حدودها كان متبايناً ، وأنهم لم يكونوا على اتفاق في تحديدها، فتارة يوسعونها ، وتارة يقلصونها .

ومن مواضع البحرين (محلم) ، وبه نهر اشتهر بنخله ، واليه أشار (بشر بن أبي خازم الأسدي) بقوله :

كان حد وجهم لما استقلوا نخل (محلم) فيها ينوع^٦

1 Ency, 2, P., 1173.

2 تاريخ الكويت ، لعبد العزيز الرشيد (بغداد ١٩٢٦) ، (٢٢/١) ، Forster, Vol., 2, P., 213.

3 وهبة ص ٧٩ ، Forster, Vol., 2, P., 214.

4 Forster, Vol., 2, P., 214.

5 البلدان (٣٤٦/١) (دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٥٥) .

6 تقويم البلدان (ص ٩٩) .

7 ديوان بشر (ص ١٣٠) .

اليامة :

وأما اليامة ، فكانت تعرف بـ (جو) أيضاً ^١ ، وقد عدّها (ياقوت الحموي) من نجد ^٢ ، وقاعدتها (حجر) . وكانت عامرة ذات قرى ومدن عند ظهور الإسلام ، منها (منفوحة) ، وبها قبر كان ينسب الى الشاعر (الأعشى) ^٣ . و (سدوس) من المدن القديمة ، وبها الآن آثار كثيرة ، وقد عثر فيها على تمثال يبلغ قطره ثلاث أقدام ، وارتفاعه ٢٢ قدماً ^٤ . و (القرية) ، وعلى مقربة منها بئر ، قال الهمداني - وهو يتحدث عنها - : « فإن تيامنت شربت ماءً عادياً ، يسمى قرية ، الى جنبه آبار عادية وكنيسة منحوتة في الصخر ، ثم ترد نجر ^٥ . والظاهر أن هذا الموضع كان من المواضع الكبيرة المعروفة . وذكر ياقوت وغيره ان اليامة « كانت تسمى جوا والقرية ^٦ . ولا يعقل تسمية اليامة بالقرية لو لم يكن لهذا الموضع شهرة .

وقد نشر (فليبي) وبعض رجال شركة النفط العربية السعودية صوراً فوتوغرافية لكتابات ونقوش عثروا عليها في موضع يقال له (قرية الفأو) على الطريق الموصلة الى نجران ويقع على مسافة سبعين كيلومتراً من جنوب ملتقى وادي الدواسر بجبل الطويق ، وعلى مسافة (١٢٠) كيلومتراً من شرقي (نجران) ^٧ ،

- ١ صفة ١٦١ ، البلدان (٥١٦/٨) ، (واليامة القرية التي قصبتهها حجر ، كان اسمها فيما خلا جوا . وفي الصحاح كان اسمها الجوا) ، لسان العرب (١٣٥/١٥)
- ٢ البلدان (٥١٦/٨)
- ٣ البلدان (١٨٢/٨) ، صفة ١٦٢ .
- ٤ وهبة ص ٥١ ، راجع وصف (فليبي) لسدوس في كتابه Arabia of the Wahabis, P., 77.
- ٥ صفة ص ١٥٢ .
- ٦ البلدان (٥١٦/٨) ، وقد نزل بنو سدوس بن شيبان بن ذهل ، ولذلك قيل لها (قرية بني سدوس) ، قال ياقوت : (قرية بني سدوس بن شيبان بن ذهل ، وفيها منبر وقصر يقال أن سليمان بن داود عليه السلام بناه من حجر واحد من اوله الى اخره ، وهي اخصب قرى اليامة ، لها رمان موصوف ، وربما قيل لها القرية) ، البلدان (٤٦/٥) (٧٦/٧) .

v The Geographical Journal, Vol., CXII, June, 1949, PP., 86, Le Museon, LXII, (1949), 1-2, PP., 87.

راجع ايضا ما كتبه (فليبي) في بعض مؤلفاته عن هذا الموضع .

وعلى ثلاثين ميلاً من جنوب غربي (السليل) في وادي الدواسر^١ .

كما وجدوا آثاراً أبنية ضخمة ، يظهر أنها بقايا قصور كبيرة ، ووجدوا كهفاً منحوتاً في الصخر مزداناً بالكتابات والتصاوير وأسماء ، يقول له الناس هناك (سردباً) أو (سرداباً) . وعند هذا الموضع عين ماء وآبار قديمة ، وقد كتب اسم الصنم (ود) بحروف بارزة . وتدل كسل الدلائل على أن الموضع الذي تتغلب عليه الطبيعة الصحراوية في الزمن الحاضر ، كان مدينة ذات شأن^٢ .

وقد أشار الألوسي في كتابه (تأريخ نجد) الى سدوس وآثارها فقال : (وفي قربها أبنية قديمة يظن أنها من آثار حمير وأبنية التابعة .) (نقل لي بعض الأصحاب الثقات من أهل نجد : ان من جملة هذه الأبنية شاخصاً كالمئذنة ، وعليها كتابات كثيرة منحوتة في الحجر ومقوشة في جدرانها . فلما رأى أهل قرية سدوس اختلاف بعض السياحين من الإفرنج إليها ، هدموها ملاحظة التدخل معهم)^٣ . وفي هذا الوصف دلالة على أن الخرائب التي ذكرها (ياقوت الحموي) بقيت ، وأن المنبر الذي أشار إليه ، قد يكون هذا الشاخص الذي شبهه بالمئذنة والذي أزيل على نحو ما ذكره الألوسي .

والكتابات التي عثر عليها في (قرية الفأو) ذات أهمية كبيرة ، لأنها أول كتابة باللغات العربية الجنوبية عثر عليها في هذه المواضع ، وتعود الى ما قبل

١ كتاب من الدكتور (جورج ماثيوس) تأريخه ٣٠ اغسطس ١٩٥٠ م في تعيين وضع المكان . (قرية : موضع في جنوب نجد ، في الطريق بينه وبين نجران ، ويبعد عن نجران ٣٤٣ كيلو متراً وعن الافلاج الواقعة في جنوب نجد (٢٨٣) كيلو متر (الافلاج تبعد عن الرياض ٢٧٣ كيلو متر) ، ويقع بينها وبين الافلاج العقيق - الموقع الذي ذكره الهمداني في صفة الجزيرة ، وأشار الى وجود جالية اجنبية فيه في العهد القديم تشتغل بالتعدين ، وأشار الى معبد منحوت في الصخر في تلك الجهة ، وبلغني ان في الجبال القريبة من (قرية) هذه - كتابات ومقوشات وصوراً كثيرة . وقد مر بها المستر فليبي ، وتبعد عن العقيق ٩٤ كيلو متراً في جنوبه . ويبعد العقيق عن الافلاج ٢٨٠ كيلو متراً تقريباً) . كتاب من السيد حمد الجاسر تأريخه ١٣ نوفمبر ١٩٥٠

(العقيق مدينة فيها مثلثا يهودي ، ونخل كثير ، وسيوح وإبار) ، صفة ١٥٢ ، البلدان (١٩٨/٦)

The Geographical Journal, CXIII, June, 1949, P., 90, Philby, ٢
Sheba's Daughter's, P. 430

٣ تأريخ نجد (ص ٢٨) .

الميلاد . وعثر فيها على مقابر ، وعلى أدوات وقطع فخارية ظهر من فحصها أنها تعود الى القرن الثاني قبل الميلاد^١ . ويرى من فحص هذه الآثار أنها تعود الى السبئيين . والظاهر أن هذا الموضع هو بقايا مدينة قديمة كانت تتحكم في الطريق التجارية التي تخترقها القوافل التي تقصد الخليج الفارسي والعراق من اليمن عن طريق نجران . وفي هذه المنطقة بصورة عامة بقايا مدن تخربت قبل الإسلام . ورأى (برترام توماس) (Bertram Thomas) أن آبار (العوفيرة) القريبة من القرية هي موضع (أوفير) (Ophir) الوارد ذكره في التوراة والذي اشتهر بالذهب ، والطواويس ، وان الاسم العربي القديم هو (عفر) (Ofar) ، وقد تحرف بالنقل الى العبرانية واليونانية ، فصار (Ophir) . وهذا الموضع قريب من مناجم الذهب^٢ . وبالجملة إن هذه الأرضين ويبرين ووبار وغيرها ، هي من المناطق التي تستحق الالتفات إليها وتجريد البعثات العلمية للتنقيب فيها ودراسة أحوالها والتطورات التي طرأت عليها .

ويظهر ان هنالك جملة عوامل أثرت في اليامة وفي أواسط جزيرة العرب ، فحولت أراضيها الى مناطق صحراوية ، على حين أننا نجد في الكتب أنها كانت غزيرة المياه ، ذات عيون وآبار ومزارع ومراع .

ومن أودية اليامة (العرض) (العارض) الذي يخترق اليامة من أعلاها الى أسفلها . ولما كان من الأودية الخصبية ، كثرت فيها القرى والزرع^٣ . وهو واد طويل ، لعله من بقايا مجرى ماء قديم ، و (الفقي) ، في طرف عارض اليامة ، تحيط به قرى عامرة، تسمى (الوشم)^٤ . و (وادي حنيفة) و (عرض شمام)^٥ . وفي اليامة مرتفعات مثل (جبل شهوان) ، تخرج منه عيون ومياه^٦ ، و (عارض اليامة) ، ويبلغ طوله مسيرة أيام ، وتكون عند سفوحه الآبار^٧ .

١ The Geogr. Jour., Vol., CXIII, June, 1949, P., 92, Sanger, The Arabian Peninsula, P., 139.

٢ The Empty Quarter, P., 177, Bertram Thomas, Arabia Felix, P., 163.

٣ البلدان (١٤٦/٦) فما بعدها) ، (١٢٨/٨) ، صفة ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٧ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ويقال له أحيانا عرض حجر .

٤ (الوشم) بالفتح ثم السكون ، البلدان (٤٢٤/٨) ، صفة ١٦٣ .

٥ البلدان (١٤٧/٦) .

٦ البلدان (٣٨٦/٧) .

٧ البلدان (٣٨٩/٦) ، (عارض) (عارض اليامة) ، البلدان - ٩٣/٦ -

(العارض) ، وهبة ٦ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥١ ومواضع أخرى ، صفة ص ١٦٣ .

وتعد (الأفلاج) من المناطق التي تكثر فيها المياه ، وتصب فيها أودية العارض ، وفيها السيوح الجارية والجداول التي تمدها العيون . وقد ذكر (الهمداني) من سيوحه (الرقادي) و (الأطلس) و (نهر محلم) . قال : ويقال انه في أرض العرب بمنزلة نهر بلخ في أرض العمجم^١ . وطبيعي ان يكثر فيها وجود الخرائب العادية التي تعود الى ما قبل الإسلام . وقد وصف الهمداني بعض التحصينات القوية ، فقال عنها : انها من عاديات طسم وجديس ، مثل (حصن مرغم) و (القصر العادي) بالأثل^٢ . ويرجع (فليبي) الخراب الذي حل باليامة الى العوامل الطبيعية ، ومنها فيضان وادي حنيفة^٣ .

نجد :

نجد في الكتب العربية « اسم للأرض العريقة التي أعلاها تهامة واليمن ، وأسفلها العراق والشام »^٤ . وحدها ذات عرق من ناحية الحجاز ، وما ارتفع عن بطن الرمة ، فهو نجد الى أطراف العراق وبادية السماوة^٥ . وليست لنجد في هذه الكتب حدود واضحة دقيقة ، وهي بصورة عامة الهضبة التي تكون قلب الجزيرة ، وقد قيل لها في الانكليزية : (The Heart of Arabia)^٦ . وتتخلل الهضبة أودية وتلال ترتفع عن سطح هذه الهضبة بضع مئات من الأقدام، وتتألف حجارتها في الغالب من صخور كلسية ومن صخور رملية غرانيتية في بعض المواضع . وأعلى أراضيها هي أرضو نجد الغربية المحاذية للحجاز ، ثم تأخذ في الانحدار كلما اتجهت نحو الشرق حتى تتصل بالعروض .

وتتألف نجد من الوجهة الطبيعية من مناطق ثلاث :

- ١ صفة ص ١٦٠
- ٢ صفة ص ١٦٠
- ٣ Ency., Vol., 4, P., 1155, Philby, The Heart of Arabia, Vol., 2, PP. 31.
- ٤ البلدان (٢٥٨/٨ فما بعدها) ، الالوسي : محمود شكري ، تاريخ نجد (الطبعة الثانية) ، القاهرة (١٣٤٧ هـ) ، (ص ٧ فما بعدها) .
- ٥ صفة ص ٤٨
- ٦ K. S. Twitchell, Saudi Arabia, P., 6, Stamp, P., 187.

١ - منطقة وادي الرمة ، وتتألف أرضوها من طبقات طباشيرية في الشمال وحجارة رملية في الجنوب ، وتغطي وجه الأرض في بعض أقسامها طبقات مختلفة السمك من الرمال ، وتخللها أرضون خصبة تتوافر فيها المياه على أعماق مختلفة ، ولكنها ليست بعميدة في الجملة عن سطح الأرض ، وتتسرب إليها المياه من المرتفعات التي تشرف عليها وخاصة من جبل شمر^١ ، ومن الحرار الغربية التي تجود على الوادي بالمياه . ويختلف عرض وادي الرمة ، فيبلغ زهاء ميلين في بعض المحلات ، وقد يضيق فيبلغ عرضه زهاء (٥٠٠) ياردة ، وتصل مياه السيول الى ارتفاع تسع أقدام في بعض الأوقات^٢ .

٢ - المنطقة الوسطى، وهي هضبة تتألف من تربة طباشيرية، متموجة ، تتخللها أودية تتجه من الشمال الى الجنوب . وبها (جبل طويق) ، والأرض عنده مؤلفة من حجارة كلسية، وحجارة رملية ، ويرتفع زهاء (٦٠٠) قدم عن مستوى الهضبة . وتتفرع من جبل طويق عدة أودية تسيل فيها المياه في مواسم الأمطار ، فتصل الى الربع الخالي فتغور في رماله . ويمكن اصلاح قسم كبير من هذه المنطقة ، ولا سيما الأقسام الواقعة عند حافات وادي حنيفة^٣ .

٣ - المنطقة الجنوبية ، وتتكون من المنحدرات الممتدة بالتدرج من جبل طويق ومرتفعات المنطقة الوسطى الى الصحارى في اتجاه الجنوب . وفيها مناطق معشبة ذات عيون وآبار ، مثل (الحريق) و (الخرج) ، ويرى الخبراء ان مصدر مياه هذه المنطقة من جبل طويق ومن وادي حنيفة . ومن مناطقها المشهورة (الأفلاج) و (السليل) و (الدواسر) ، وفي جنوب هذه المنطقة تقل المياه ، وتظهر الرمال حيث تتصل عندئذ بالأحقاف .

ويقسم علماء العرب نجداً الى قسمين : نجد العالية ، ونجد السافلة . أما العالية فما ولي الحجاز وتهامة^٤ . وأما السافلة ، فما ولي العراق . وكانت نجد حتى القرن السادس للميلاد ذات أشجار وغابات ، ولا سيما في (الشربة) جنوب (وادي الرمة) وفي (وجرة)^٥ .

١ وهبة ص ٦٠

٢ Handbook, Vol., 1, P., 349.

٣ Ency., Vol., 3, P., 894, Handbook, Vol., 1, P., 349.

٤ البلدان (١/٨) ، تاريخ نجد ص ٨ .

٥ Ency., Vol., 3, P., 895, Philby, The Heart of Arabia, 1, P., 115.

وفي جزيرة العرب وبادية الشام أرضون يمكن أن تكون مورداً عظيماً للماشية بل وللحبوب أيضاً ، لو مسها وابل وهطلت عليها أمطار ، وتوفرت فيها مياه ، فإن أرضها الكلسية تساعد كثيراً على تربية الماشية بجميع أنواعها . كما تساعد على الاستيطان فيها ، ولهذا يتحول بعضها الى جنان تخلب الألباب وتسحر النفوس عند هبوط الأمطار عليها ، فتجلب اليها الانسان يسوق معه إبله لتشبع منها . ولكن هذه الجنان لا تعمر ، ويا للأسف ، طويلاً ، فيضطر أصحاب الإبل الى الذهاب الى أرضين أخرى ، والى التنقل من مكان الى مكان ، فصارت حياته حياة تنقل وهي حياة الأعراب .

أما وقد انتهيت من الحديث إجمالاً عن صفة جزيرة العرب وعن حدودها ورسومها العامة ، فلا بد لي من الإشارة الى جزيرة (سقطرى) (سوقطره) من الجزر التي تقابل الساحل العربي الجنوبي ، وهي جزيرة كانت تعادل وزنها ذهباً يوم كان البخور والصبر يعادلان بالذهب . أما اليوم فما زال سكانها يجمعون الصبر والبخور والند ، ولكنهم لا يجدون لحاصلهم السوق القديمة لزوال دولة المعابد والملوك الآلهة ، وحلول عهد الذرة والبترول . وسكانها منذ القديم ، خليط من عرب وإفريقيين وهنود ويونان . يتكلمون بلغة خاصة هي من بقايا اختلاط اللغات في هذه الجزيرة ، فيها اللهجات العربية الجنوبية القديمة والمصرية والإفريقية . وهم يعيشون في كهوف ومغاور في الغالب ينالون رزقهم من الطبيعة بغير جهد . وترى في الجزيرة آثار الماضي وقد اختلط بعضه ببعض ، لتداخل الحكم في هذه الجزيرة الثمينة التي هي اليوم في قبضة الانكليز .

والآن وقد وقفت على صفة جزيرة العرب ، وعرفت على سبيل الاجال معالم وجهها ، وكيف تغلبت الصحراوية ، وظهر الجفاف عليها ، فلإن في وسعك أن تكون رأياً في سبب قلة نفوس جزيرة العرب في الماضي وفي الحاضر ، وفي سبب عدم نشوء مجتمعات حضرية وحكومات مركزية كبيرة فيها ، وفي سبب تفشي البداوة وغلبة الطبيعة الأعرابية على أهلها وبروز الروح الفردية عند أهلها ، وتقاتل القبائل بعضها مع بعض . ونفرة أهلها من الزراعة والحرف واعتدادهم اياها من حرف الوضعاء والرقيق . إن بيئة تحكمت فيها الطبيعة على هذا النحو ،

١ جان جالك بيربي : جزيرة العرب (ص ١٩٢ فما بعدها) .

لا يمكن أن يشاكل سكانها سكان المناطق الباردة ذات الأمطار الغزيرة والحضرة الطبيعية الدائمة، أو سكان الأرضين التي حباها الله الخصب والأنهار والماء الغزير . من هنا اختلفت حياة العرب عن حياة غيرهم من الشعوب .

وللسبب المتقدم، أي بسبب تحكم الطبيعة في مصير الانسان ، انحصرت الحضارة في جزيرة العرب في الأماكن المطورة والأماكن التي خرجت فيها المياه الجوفية عيوناً ونبايح ، أو قاربت المياه فيها سطح الأرض ، فأمكن حفر الآبار فيها . في هذه المواضع نبتت الحضارة وأظهر العربي فيها أنه مثل غيره من البشر قادر على الابداع حين تنهياً له الأحوال المواتية ، وتساوده الطبيعة ، ومن هذه الأماكن نستقي علمنا في العادة عن الجاهليين .

وعلى الرغم من سعة مساحة جزيرة العرب واتساعها ، فإنها لم تتسع لعدد كبير من السكان لأن معظم أرضها صحراوية ، لا تجذب الناس إليها ولا تساعد على ازدياد عدد السكان فيها ازدياداً كبيراً ، غير ان ذلك لا يعني أنها لا يمكن أن تتسع لعدد أكبر من سكانها الحاليين ، وان طاقتها لا يمكنها أن تتحمل هذا العدد أو ضعفه ، بل الواقع هو أن في استطاعة الجزيرة تحمل أضعاف أضعاف هذا العدد ، لو تهيأت لها حكومات حديثة رشيدة ، تأخذ بأساليب العلم الحديث في استنباط مواردها الطبيعية لمصلحة أهلها وفي تحسين الصحة العامة وإيجاد موارد رزق للناس ، وضمان الأمن والسلامة لهم ، واسكان الأعراب ، وعمل ما شاكل ذلك من أمور . فإن سكان الجزيرة سيزدادون حتماً، ويبلون أضعاف أضعاف ما هم عليه اليوم .

ونجد بين سكان جزيرة العرب في الوقت الحاضر اختلافاً في الملامح الجسمية . فأهل أعالي نجد هم أقرب في الملامح الى قبائل عرب الأردن وعرب بادية الشام . وأهل الحجاز والسواحل ، يختلفون بصورة عامة عن أهل الباطن ، أي باطن الجزيرة ، في الملامح بسبب اختلاط أهل السواحل بسكان السواحل المقابلة لهم ، وامتزاج دماتهم . وقد أجرى بعض الباحثين المحدثين فحوصاً علمية على السكان في مواضع متعددة من جزيرة العرب لمعرفة الملامح البارزة عليهم والأصول التي يرجعون إليها، فوجدوا أن هناك امتزاجاً واضحاً بين السكان يظهر بصورة خاصة في السواحل ، وهو امتزاج يرجع بعضه الى ما قبل الإسلام ويرجع بعض آخر الى الزمن الحاضر .

ولم يكن لسان عرب الجاهلية لساناً واحداً ، ولكن كان كما سنرى ألسنة ولهجات . وقد استطعنا بفضل الكتابات الجاهلية أن نقف على بعضها . أما في الزمن الحاضر ، فإن لغة القرآن الكريم هي اللغة المتحكمة الموحدة للألسنة، وهي لغة العلم والأدب والحكومات ، غير أن بعض القبائل لا تزال تحتفظ بلهجاتها القديمة ، وكذلك بعض أهل القرى والأرياف البعيدة عن الحضارة ، فإنها تتكلم بلهجات وألسنة متفرعة من اللهجات العربية الجاهلية ، كما الحال في مواضع من اليمن وفي العربية الجنوبية . ونجد في العربية الجنوبية قبائل تتكلم لهجات غريبة عن عربيتنا مثل اللغة المهرية واللغة الشحرية، واللهجات المسماة بألسنة (أهل الهدرة) . وهي لهجات لها صلة باللغات العربية الجنوبية الجاهلية وباللغات الإفريقية^١ .